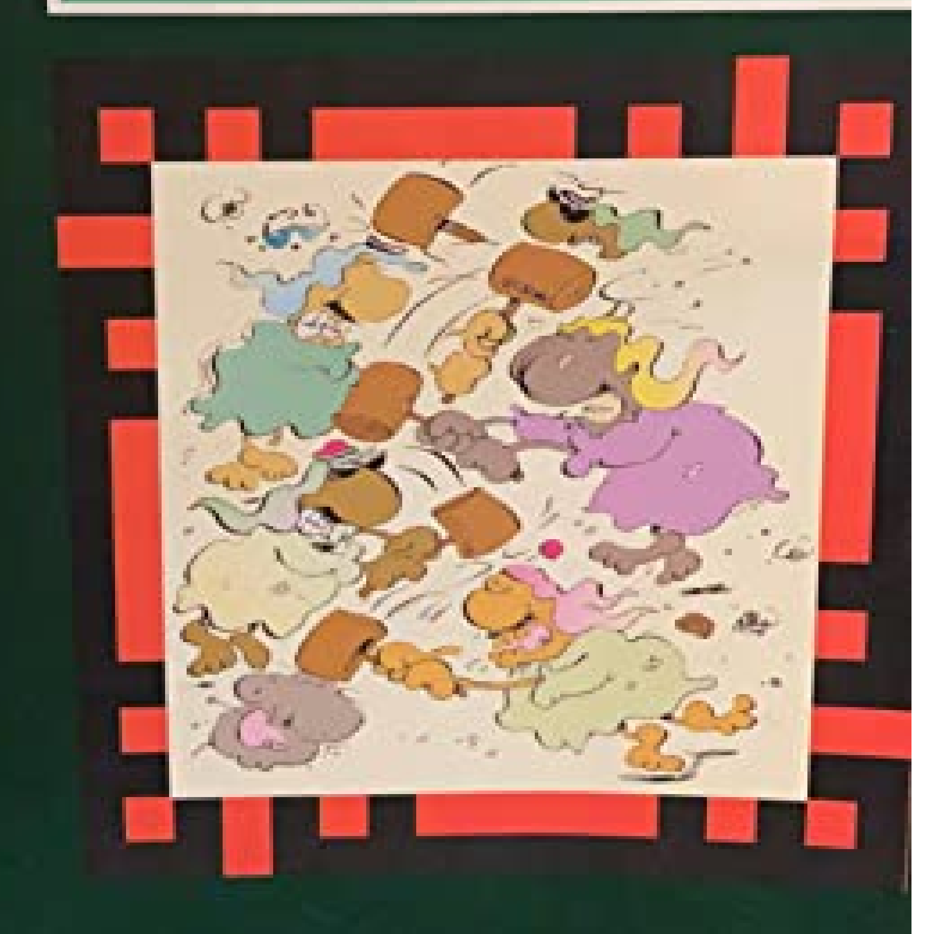
إيماءات

إبراهيم بشمي

الرأي والرأي الآخر




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرأي .. والرأي الآخر

إيماءات ابراهيم بشمي

سلسلة كتاب: إيماءات

الرأي والرأي الآخر

المؤلف: ابراهيم بشمي

رقم الايداع فى المكتبة العامة ـ البحرين.

الطبعة الاولى:/ د.ع 1904/1996

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر

المنامة ـ البحرين ـ ص.ب 3232

هاتف: 727111 ـــ فاكس: 723300

الرأي .. والرأي الآخر

إيماءات ابراهيم بشمي

من اصدارات: مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

أدوار

عادة فان لبنان هو بلد العجائب، وأعجب العجائب اللبنانية فى هذه المرة، هو قيام ادارة صحيفة، برفع قضية على وزير، وليس كما عودتنا الاحداث عادة، بقيام الوزير برفع قضية على الصحيفة.. او الصحافى.

والقضية الجديدة من نوعها، تدور بين صحيفة النهار، وصاحبها غسان تويني، الذى كتب افتتاحية صحافية، ضد وزير الدفاع اللبناني محسن دلول، والذى بالمناسبة هو أيضا صحافى سابق، ينتقد غسان توينى، فى تلك الافتتاحية، وزير الدفاع اللبنانى محسن دلول، على تصريحاته فى دمشق، وعلى اصراره، باستمرارية العمل بمنح رخص السلاح.. الذى قام وزير الدفاع بمنحها بكثرة لأهالى الجنوب.

وبعد صدور هذا المقال الافتتاحى، أصدر مكتب وزير الدفاع، بيانا ضد غسان توينى، وضد النهار يتضمن اتهامات لغسان توينى، تجاوزت كما يقولون البيانات الرسمية، حيث اتهمت غسان توينى بالعمالة الخارجية، وأشارت الى ارتباطاته الاسرئيلية.. وارسل هذا الرد الى النهار، والجرائد الاخرى.

وطبعا لم تنشر النهار الرد، وكتبت تقول، بانها قررت رفع قضية قدح، وذم، وافتراء، وتشهير ، على وزير الدفاع، وانها لن ترد على مانشر!

4/1 الصحافة والخطأ الاول

سادت مقولة، بعد الغزو العراقي للكويت، فى اوساط بعض القراء، تتهم اجهزة الاعلام بالمسؤولية الأولى والاخيرة عن هذا الغزو، وذلك بسبب سكوته عن طبيعة حكم صدام للعراق.. او صمته المطلق، طوال فترة سنوات الحرب الماضية، تحت عدة تبريرات، اهمها الدفاع عن شرق الوطن العربي.

وبالتالي، فأن ما شاهدناه من تطبيل لهذا الغزو، ومن تنظير له لدى بعض المثقفين العرب، ومن بضعة مظاهرات، فى بضعة شوارع مدن عربية، ماهو الا نتيجة لهذا الصمت من جهة، ولهذا التطبيل من قبل اجهزة الاعلام من جهة واخرى، والتى رافقت صدام طوال حربه مع ايران، «فذوقوا ماكنتم تطبخوه» ، يقول هذا البعض، متشفيا لأسبابه الخاصة.

فإذن وحتما، فأن النتيجة المنطقية، هى ادانة الاعلام المتهم الاول والاخير، وبشكل مطلق، كما كان هو المدان فى حرب لبنان، وفى حرب 67، وكما تمت ادانته، فى قضية غزو الكويت.. فهو المشجب الاول والاخير، لكل الهزائم والنكبات العربية.

وللوهلة الاولى، فأن هذا الاتهام، قد يبدو اقرب للتصديق

والحـقيـقـة، من أى اتهـام آخر، حـيث ان الصـحـافة العـربيـة، والصحـافة فى دول الخليج العـربية، قد طبلت اكـثر من غـيرها، للرئيس العـراقـي واطروحـاته، لكن دعـونا نسـتـعـرض بعض الحـقائق، ونتـفـحـصها حتى نتـبين اين كـمنت العلة، واين وقع الخطأ.. وهل أن الاعلام مسؤول حق عن ماحصل، ام هو الشماعة الجاهزة لتعليق الاخطاء عليها؟!



4/2 التنميط والتعميم

جميع أجهزة الاعلام والعاملين في سلة واحدة، وتعميم حالات مختلفة تحت بند نمطي واحد، وبالتالي ينصب هذا الاتهام على جميع القطاعات الاعلامية المختلفة.. وهنا مكمن الخطأ الاول. يقوم مكمن الخطأ الاول بدمغ الاعلام العربي من خلال سياسة التكثيف والتنميط، فصحيفة (أ) هي صحيفة (ب) والصحافي (عبيد) هو الصحافي (زيد)، وبما ان (أ) هى جريدة كذابة، و (عبيد) منافق، فإن (ب) هي دجالة و (زيد) منافق ايضا، هكذا او من خلال هذا المنطق الارسطى الجامد، تنمط وتعمم وتكرس هذا الظاهرة النقدية المؤسفة ضد الصحافة.

ولو عدنا بالذاكرة قليلا الى بداية الثمانينات، وما رافق الثورة الايرانية بتعدد اطرافها من احتقانات سياسية، وعقائدية وافرازات، وتصاعد درامي لطبيعة الاسقاطات السياسية على المنطقة، وبالتالي ما رافق ذلك من تهديدات لنقل الثورة الايرانية وتصديرها الى

المنطقة، وتحرك فئات داخلية تؤمن ايديولوجيا وفكريا بمقولات بعض الاطراف المشاركة في الثورة الايرانية، والتي

اسـتلمت الـحكم للتـو، وهو اسـتلام هش يريد كل طـرف تثبـيت نفسه بالمزايدة السياسية على الطرف الآخر.

ومن ثم توحدت القوى الخارجية المناهضة للثورة التى تريد ان تمد اطرافها للخارج، وأندلعت الحرب العراقية الايرانية لحسابات ومداخلات سياسيـة مختلفة، لم تنضـج على نار هادئة.. وبالتالي تصبح بداية الفتيل الذي شق الـصف العربي بينه وما بين الثورة الايرانية، والتـى بدأت تلقى بظلالاتها المخـتلفة على المنطقـة كلها طوال عقد من الزمن، والتى كـان كل طرف ينظر لها ما للناظر فى دوامة الاعصار من حبل الرجاء فى النجاة.



4/3 مجرد مفاتيح

ليس هنا مجال التحليل السياسى فى عجالة العمود اليومي، ولكن نحاول فقط سرد بعض رؤوس الاقلام، لتكثيف ما حدث، وما فى التكثيف من خلل، المهم لقد اشتعلت الحرب.. وكل طرف شحذ اسلحته العسكرية، والاقتصادية، والسياسية.. واهمها اجهزته الايديولوجية، والاعلامية، وتقافزت حرب الكلمة، والصورة، واللون، وحتى الموسيقى، كانت علة العلل، وانا هنا اشير الى مفاتيح، مجرد مفاتيح فى صراع عنيف، يكون من واجب الباحثين الآن تعميقه وتحليله، لرد العقول العربية الى اوضاعها الصحيحة، لرؤية الحقيقة على قسوتها، حتى لا تكون رؤيتنا لانفسنا ممسوخة.

كانت هناك مواقف متعددة، بتعدد رؤيتها للحرب، كانت هناك مواقف حكومات ودول، تنظر كل دولة لهذه الحرب من مدى خطورة ما وصل اليها من شظايا الثورة الايرانية فى حينها، من تهديدات كلامية او واقعية، وكانت هناك مواقف لتنظيمات عربية، انقسمت فى رؤيتها للحرب من خلال تعقيدات العلاقات العربية وتنافرها، وكان هناك انحياز دولي، من ضمن سياسة

المعسكرين، المنقسمين دوليا آنذاك، وكان هناك الشارع العربي بعقده واحتقاناته السياسية، والايديولوجية، وبانصاف الحقائق التى يتلقاها.. وكان.. وكان.

وكانت هناك الصحافة العربية.. وليس كل الصحافة العربية هي صحافة واحدة، هناك صحافة عربية فى اوروبا، مشتراة من عدة اطراف، عربية وغير عربية، كانت تؤيد او تهاجم كل طرف في الحرب، حسبما ترتئى الجهة الدافعة، وكانت هناك صحافة احزاب، وتنظيمات جماهيرية، تقودها احزاب، تنطق من خلال عناصرها الحزبية، وتعبر عن رأي تلك التنظيمات فى الحرب، من خلال اقترابها او ابتعادها، عن النظام العراقي او الايرانى.. او من خلال مواقف لجانها المركزية.

وكانت هناك صحافة مؤيدة فعلا للحرب، من منطلقات ايديولوجية وتنظيمية.. وكانت هناك صحافة عربية هى الاخرى كانت معارضة للحرب ايضا ايديولوجيا وتنظيميا.. وكان.. وكان.. وكانت هناك صحافة عربية، وصحافيون عرب، وقفوا بداية ضد الحرب، انطلاقا من رؤيتهم ونظرتهم المستقلة لواقع المنطقة، ولفهمهم للواقع السياسى السائد آنذاك.

4/4 الحقيقة الغائبة

كانت هناك الحرب، وكانت اجهزة اعلام الدول الرسمية، من اذاعة، وصحافة، وتلفاز تعبر عن وجهة نظر الدول، من قرب او بعد، عن موقفها السياسى، من هذا النظام، او ذاك، وكانت هذه الدول تعبر عن وجهه نظرها، اما تلميحا من خلال الخبر والصورة، واما تصريحا بالتحليل والنقد، وحتى بالشتائم السياسية والردح من جهة اخرى! او بسياسة التجاهل! كأن الحرب تجرى فى واد غير ذى زرع.. بعيدا هناك.. فى الواق واق!

وكانت علة الاعلام الخاص، او علة العلل، هو محاولة الحكومات، ربط هذا الاعلام باعلامها الرسمى، وبالتالى فانه عندما يكون صوت هذا الاعلام الخاص، يختلف عن صوت الجهات الرسمية، يغدو الامر لهذه الجهات الرسمية كأنه «سبة» او «عار» او «ضعف» للدولة.. وكأن الامور سائبة.. فيبدأ تدخل الاعلام الرسمى، اما مباشرة كما فى بعض الدول، او غير مباشرة، فى بعض الدول الاخرى، لقسر الاعلام الخاص، وجعله يتناغم مع الاعلام الرسمى فى بوتقة واحدة.. فاذا كانت العلاقة حسنة من دولة ما.. فيصبح كل الرتم الموسيقى منسجم، فى

عـزف مقطـوعة المدح الواحـــدة، وان كانـــت العــلاقــة متدهورة تناغمت الجوقة فى حفل سباب مــوحد، وتلك هى العلاقة الجدلية الممسوخة ما بين الاعلام الرسمى والاعلام الخاص فى دول العالم الثالث.. الكل يريد من الاعلام ان يصبح «صوت سيده»!

وهكذا تتحـددد قناعات الطرف الآخـر، بان اى نقد صـحافى فى دولة مــجاورة، هو نقـد يعبـر عن رأي الدولة، واى مدح هو مـدح يعـبـر عن الدولة، وان الصـــحــافـة فى تلك البــلاد، هـى جـزء من وزارات الاعلام، وان الاعلام الكاذب هو المســئول عن صراعنا مع دولة، وعمق علاقتنا مع دولة اخرى.. وتلك هى الحقيقة الغائبة!



دماغ يوك !

في كثـير من بلدان العالم الثـالث تكون الامور غير واضـحة ، ولامـقننة فى قانون ، او مـوضـوعة على ورق ، وان وجـدت تلك القوانين فهى مجرد احبار على ورق ، حيث لامؤسسات تحميها ، ولا نظم ولا تقـاليـد تراعيـهـا .. ولا ادل على هذا الامـر من هذه القصة القادمة من دهاليز الدولة العثمانية .

يقـال ان المكتوبجي فى الدولة العـثمـانية هو من يـقوم مـقام سكرتير الوالى فى كل ولاية ، ولاعلاقة له بالكتـابة وبالكتاب كما يتضح من اسمه ، ولسوء الحظ ان عهـدت الحكومة العثمانية فى ولاية بيروت امر مراقبة الجرائد الى هذا المكتوبجى ، فارتبط اسم الرجل بمراقبته للصحف اكثر من كونه سكرتير الوالى .

ويروى سليم سركيس مؤلف كتاب «غرائب المكتوبجى» قضية مكتـوبجى بيـروت الذى لايعـرف كلمة مـن اللغة العـربيـة ، مع صاحب مـجلة ثمرات الفنون عـبدالقادر القـبانى ، الذى ذهب الى هذا الرقيـب التركى راجيـاً منه وضع قانون او تحـديد خطة ، او بصـريح العبارة ،

أن يوضح له ماهو مسموح بنشره ، وماهو ممنوع ، فرد عليه المكتوبجي التركي ، ووضع اصبعه على دماغه وقال له : «أغا عبدالقادر .. قانون هنا .. ورق يوك !» .

وكم من هذه المقولة تنطبق على احوال العالم الثالث عندما يكون المسموح والممنوع في الدماغ .. وليس على الورق !.



الرأي السائد

دار حوار، بيني وبين زميلة صحافـية، حول مدى صحة الرأى السائد، لدى قطاعات المجتمع، فى مرحلة معينة، وهل على الكاتب الصحـفي، ان يساير هـذا الرأى السائد، حتـى لو اعتقـد بخطأه، خوفا من ردود الفعل، او التفسيرات المغلوطة.

وحـتى لانتوه فـى سراديب التنظـيرات قلت: هل تسـتطيـعين الكتابة ضد هذا الرأى السائد، المطالب الدولـة، بإجراء خصومات، او تخفيضات، او منحة على الخدمات، التى تقدمها الدولة، كما هو سائد الآن فى بعض الدول الخليجية؟

وواصلت حديثى: انت تعرفين بحجم الانفاق الحكومى، وبقيمة دخل الدولة.. وانت تعرفـين ان مثل هذا الاجراء، سـوف يضاعف من حجم العجز فى الميزانية.. فهل تستطيعين صدم الرأى السائد، بمثل هذا الرأى الواقعى، والبعيد عن احلامهم؟

فكرت الزميلة قليـلا وقالت: كلامك صـحيح من ناحيـة ان مثل تلك الاجراءات، قد تتخذ فى بعض الدول، لعدة اسـباب سياسية، ولكن ليست هى حل للمشكلة.

قلت: كلامك هو الآخر صحيح، فعندما اؤمن برأي، حتى لو كان بعيدا عن الروح السائدة، فيجب ان نوضح الابعاد الاخرى له، وطرح الحلول الواقعية السليمة.. فما هى من وجهة نظرك فى الحل المناسب؟

ردت الزميلة المشاغبة: يجب جدولة اولوياتنا ومواردنا المالية.. وأشياء كثيرة لا استطيع ان اعرفها كفرد بحكم عدم تخصصي، ولكن لو توافر لنا مجلس تخطيط له صلاحيات يستطيع ان يضع الحلول، والاقتراحات ليست لمثل هذه الامور فقط، ولكن لمستقبلنا التنموي كله، ولما جرينا وراء مثل تلك الاحلام.. احلام الفوز بورقة يانصيب سارة!



مقال باسم مستعار

جاء ذات مــرة يحمل مقالا، باسم مــستعــار، يطلب مني نشره، المقال يكيل سيل من الاتهامات، الـى عناصر تعمل فى مرفق عام، يتهمهم فيها بالسرقة، وتكوين عصبة تشيل بعضـها بعضا، وانهم يقفون فى وجــه كل عنصر جديد.. ويحتكـرون العمل.. و.. وكال سيل من الاتهامات.

قلت له: سوف انشر لك تلك الـرسالة، لكن على شرطين، الاول ان تضـع اسمك الصــريح، لتتحمل وجهــة نظرك، التى انت مؤمن بها، والشــرط الثاني، ان تجهـز لي أدلة الاتهام، لاثبـات مثل تلك الاتهــامات، تكون عندى الدليل الدامــغ على ذلك، عندما يحــولنى المسؤول الى المحكمة.

سكت اخينا الذى يريد ان يحجز له مكانا وسط تلك الشلة، التى يكيل لها الاتهامات، لأنه لم يجد منفـذ للوصول اليها، وبعد مرور فترة من الزمن اصبحت اراه، وقد استطاع ان يصل الى تلك الشلة التى كال لهــا الاتهامــات، وتبؤا له مكان مناسب وسطهــا، واقفل فمه.

فترة تجريبية

للموظـف الجديد فتـرة تدريبيـة مدتهـا 3 أشـهر، هذه الـثلاثة أشـهر يثبت خلالـها الموظف الجديد جدارته للعمل ويبقى، او يثبت عدم جدارته، ويبحث له عن عمل آخر.

اليوم اكـملت تلك الثلاثة أشـــهر التجـريبية فــى كتابة العـمود الصـــحافى، والثــلاثة أشهــر فى عــمر الزمن الصـــحافى ليـست بالكثير، وكنت اقول دوماً بــأن العام 365 يوماً، ولايمكن اختزال كل مــا فى العام فى عــمود يوم واحــد، الا ان البعض من القــراء، مصر على ان تكتب كل مــاجمعوه فى اعوامهم المحــبطة فى عمود واحد.. على طريقة قل كلمتك وامش!

والبـعض الآخر من الـقراء.. يريدك ان تكتــب فقط مــا يرضــى ذاته، واحــباطاته وهمــومــه، وان كتــبت خــارج هذا الامر، فــانت رعديد، ولا تعرف تكتب.. و..

والمشكلة ان هذا الامر حقيقة مشكلة..

التقرير اليومي
المرفوع الى سعادة .....

الفت نظر سعادتكم، الى مـا تناوله الكاتب الفلاني، والذى دأب مؤخراً على استعمال عبارات التورية، والتوارب، واللمز، والهمز، فهـو يحاول بهذه الغمـزات، ان يبحث عن مثـالب الحكومة، وعن العـيوب والنواقص، وان يدخل قلـمه فى «الغـيران» حـتى يؤلب الناس على الحكومة.

لقد لوحظ مؤخراً بأنه يستعـمل عبارات ويكررها فى مقالاته، مـرة يركـز على كلمـة مـثل «ظلم» و «يظلم»، ومـرة يكرر كلمـة «العدل» و «العدالة» وتراه ثالثة، يتكلم عن «الغلاء» و «المعيشة» و «الرشوة»، وكمـا تعلمون سعادتكم، ان مـا لمثل هذه الكلمات، من ايحـاءات تحريضـيـة واضحـة على الامن، ومـا لهـذا الكاتب من خلفيـات سيـاسية ينطلق مـنها، ونلفت نظر سعـادتكم الى ذلك، لاتخاذ اللازم.

تقرير ناصح الخير:

كما هو واضـح مؤخراً، نود ان نلفت سعادتكم الى ما للأوضـاع الاجتماعية التى تمر بها البـلاد، من قضايا غلاء، وارتفاع اسعار،

وثبات الرواتب عند الحـدود الدنيا، كمـا ان بعض موظفي الدولة،
اخذوا يجعلون الاكراميـات المدفوعة لهم، اتاوة اجبارية، مما دفع
هذا الامـر، الى تصـاعـد التـذمـر والشكـاوي، لدى المواطنين فى
المقاهي والانديـة، الى ان يحاول الكاتب الفلاني، الـى ان ينبه الى
هذا الامر بطريقة غيـر مباشرة، فى اكثر من مقـالة، يشكر عليها،
حـيث انه ينبـه الى مـواطن الخطر، وابعـاده المستـقـبليـة، على
الاستقرار فى البلد، مما يتطلب الامر من سعادتكم، الايعاز الى ان
تقوم الاجـهزة اللازمة باسـتشعـار مكامن التذمـر، التى ابتدأت
تزداد لدى المواطـن، فى ظل الظروف الاقـتـصـادية الـراهنة،
ومحاولة البحث عن حلول جذرية لحلها..



حل النعامة

تجرى فى البحرين، أول تجربة فى العـالم العربي، فى التعامل مع البث التلفـزيوني الدولي، عبر الاقـمار الصناعـية، وانها حـقا تجـربة صعـبة وشـجاعـة، تدخل بهـا البحـرين، القرن الواحـد والعشـرين، من أوسع ابوابه، أقصـد بوابة القنوات التلفـزيونية الفضـائية، وها نحن نشـهد هذه التـجربة امام اعيننا، ونتذكر كيف استقبل الناس التلفـزيون بالابيض والاسود فى بدايته.. وسوف نقرأ فى المستقبل، كيف واجهنا مثل هذه التجربة.

وطبعـا لا تخلو تجربـة من التجـارب البشرية، مـن رأى مؤيد بشكل مطلق، ورأي معـارض بشكل مطلق، ورأى وسط يمزج ما بين الرأيين، حول طبـيعة بعض مـا يبث علينا ، وليس على الفكرة بحد ذاتهـا، البعض قد تثيـره لقطة، فيرفع عـقيرته بالاحتـجاج، والبعض قد تثيره ندوة، تعـالج مشكلة من منظور المجتمع الآخر، والبعض الثالث.. والبعض الرابـع.. وطبعا لا يعني ان هذا البعض ليس على حق فى رؤيتـه، او تفكيـره تجاه مـا نراه، او ما سـوف نراه، فهو بث يلـبي احتياجات مـجتمع آخر، له عـاداته وتقاليده، والتى مـن المؤكـد، انهـا تختلف عن عاداتنا، وتقاليدنا.

والامر السوى، ليس منع هذه المحطات، فـهذا حل النعامة التى تدفن نفسها فى الرمال، فسوف يكون زمن قريب جدا، لن تكون فيه حاجة لمحطات بث تقوية أرضية، واستعمال اطباق التقاط ضخمة، تستقبل البث، بل سيكون هناك فى تركيبة كل تلفاز، جهاز التقاط خاص، فماذ سيفعل اصحاب نظرية النعامة عند ذاك؟!

هنا يأتى دور العائلة والمجتمع، فى خلق الحصانة الذاتية، تجاه ماسوف يبث، والضعيف فقط، هو الذى يخاف من المواجهة، وذلك امر آخر.



الزمان الصحيح

لا اعتـقد ان العـالم بعـد قد اصبـح قرية صـغيرة، بـلا حدود، وبفضل وسـائل الاعلام، كما تنبـأ بذلك احد كبـار اساتذة علوم الاتصال فى العالم، قبل اكثر مـن ثلاثة عقود، اذ لا تزال كثير من القـيود، مـفروضـة على وسـائل الاتصال، سـواء مـا كان منهـا سياسيا، او اقتصاديا.. او حتى اجتماعيا.

الا انه يمكن ان نشير، الـى ان عام 1991، هو العام الذى وضع اللمـسات الاولـي لهذا الاتجـاه، حـينما وضع بـصمـاته الاولى، لتطبيـق تلك المقولة، على مـثل ذلك التصوير، الذى شـاهدناه فى سقـوط اسوار برلين، وفى حرب الخليج، وسقـوط دولة الاتحاد السوفـيتي، ومن خـلال بث اول شبكة اخـبارية عالميـة، ولم يكن صاحب المحطة مخطئا حينمـا قال: أنا الرجل الصـحيح، فى المكان الصـحيح، وفي الزمان الصـحيح، وفـعلا لم تكن عبارته بعيدة عن الصـحة، الا انها فى الواقع، كانت لا تخلو من مبـالغة وتركيز، كما تركز اللقطة التلفـزيونية المقربة، التى تظهر جـزئية من الصـورة، التى تركـز عليها الـكاميرا.. بينـما المخفي يكون شــيء آخر، ولن تتـحقق تلك المقـولة، الا بعـد ان يصـبـح الارسال التلفـزيوني

الدولى واستقباله، بسهولة التقاط محطات الراديو الترانزستور.. وعند ذاك، سيصبح العالم فعلا قرية واحدة.. وهذا الامر ليس بمستبعد، فتكنولوجيا الاتصال المدمجة، تدمج نفسها سريعا بفضل العلم.. حتى انها اسرع من قصر الليل والنهار! واسألوا الشركات التجارية فى اليابان!



هذا احبه وهذا اكرهه

أحيانا، وفى نقـاشات الناس الدائرة، على كتابـات بعض كتاب الاعمدة الصـحافية، وهـم يسـتعرضونها بالاسـم، يقول البعض ان الكاتب فلان عظيم، اما علان فأنا لا أحـبه، ويقول البعض الآخر: كلا.. ان الكاتب زيد، أجرأ من الـكاتب عبيد، أنا لا احب عبـيد. اما البعض الثالث فيقول: ان مواضيع الكاتب عمرو، صـريحة اكثر من الكاتب سمرو! فما رأيك انت؟!

طبعا كان الجميع يتوقع، ان اجـرى مقارنة، ما بين زملاء مهنة القلم، لأقول مـثلا ان فلان اعظم من عـلان، وزيد اجرأ من عبـيد، وعمـرو صـريح وسمـرو جبان، وانا علـى العموم، ضـد مثل هذا النوع، من التقسيمات، والتقييمات، لأسباب أظنها منطقية.

ان كتاب الاعمدة فى الصـحف المحليـة، والـخليجية، او العربية، هم جـمـيـعا يندرجـون تحت بند واحـد هو الكتابة.. ولكل كـاتب اسلوبه، ومـواضيـعه، وطريقـته فى الكتـابة، وله قراؤه أيـضـا، وليس من المعـقول، ان اطلب من جـمـيع الكتاب، ان يعـجبـوا كل القراء، فى كـل مايكتبـونه، وفى كل وقت، فتلك تصـبح معـجزة، ليس بقـدرة اى كاتب التنطع لها.

قلت، وانا أرقب المائدة تـعد، البـعض يحب السـمك، والبـعض الآخر يفضل اللحم، والثالث نصحه الاطباء باللحم الابيض، اقصد هنا الدجاج، البـعض يفضل المشويات، والبعض يحـب المجبوس، والبعض الثالث ذبحته المرقـة، البعض يحب الرمان، والثاني يحب التـفاح، والثـالث يموت في الهـمبـة، ناس تفـضل الفسـتق رغم الكوليسـترول، وناس تضيع وقـتها في اكل حب الفـساد، وناس تحب، وناس تكـره، فـهل من المطلوب مـنا، ان نوحـد امـزجـتنا الذوقـيـة، ونأكل، او نقـرأ فـقط، مـا يـفـضله كل واحـد فـيكم، سـامحـوني انا احب اللخـبطة في الأكل! وأتذوق من كل طعـام، ماحباه الله به، من طعم خاص به فقط!



شر المرورة ما يضحك

فى ظل الاوضــاع الدوليــة الملتــهــبــة، وفى ظـل تقلب وتلون الاخبــار، والتحليــلات الكثيرة، فــالكل يحلل، ويهلل، ويســبهلل، ويخلط البــهار مع السكر، والملح مع العــسل، وانت مطالب ككاتب وصحــافى، ومتابع يتـعايش مع سلسلة الاحـداث، ان تجيب على اسئلة الماشيين، والقاعـدين، والمارين، فى اى حضـور، او حفل، او حتى مأتم، او ميتم.

والمشكلة لــدى كل اولئك المتـســائلين، بأنــهم لا يعــرفــون، او يعرفون ويتغافلون، عن ان الصحــافة فى عالمنا العربى، لا تعرف اكثــر من طرف انفها، اى لا تعرف الا مــا تبثه لها وكــالات الانباء الغربــية، ومصــادر الاخبــار الاجنبيــة، بينما مـصادر الاخــبار العــربية، فهــي صم، بكم، عمى، لا تســمع، ولا ترى، ولا تتكلم، وان نطقت فهو كفر ، وان تكلمت فــهو انشاء، وما أدراك ما إنشاء اللغة العربية، الذى هو منقذها عن قول شــيء ما، رغم كل العبارات والجمل.

وبالتالي، فأن الصحافي العــربى، لا يملك رؤية تحليلية خاصة به، تنطلق من مــعــرفة حــقيــقــية بما يحـــدث وراء الكواليـــس،

وبالتـــالى لا تصبح كتاباته الصحافية التحليلية، نابعة من وقائع وحقـائق، لأن مـصادر المعلومـات فى بلاده، إما انهـا لا تثق به.. وتلك مـشكلة.. حـيث ان هذا الامر، يعنى خلـل فى تلك العلاقـة.. واما انها لا تملك هى الاخرى، تلك المعـلومات، التى تشكل رؤيتها الخاصة ايضا، وتلك هى مشكلة اخرى، واما ان الصحافى يعرف الحقـيقـة، اكثر من اللازم، لدرجـة انه لا يستطيع نـشرها.. وكل الحالات احلاها مر.. وشر المرورة ما يضحك!!



أين الخلل؟!

طوال ثلاثة اشهر من الكتابة الصحافية، تجد ردود فعل غريبة من القـراء، لا توافق بينهـا، ولا انسجـام، تقـفز من النقـيض الى النقـيض، الكتـابة هى الكتـابة، والكاتـب هو الكاتب، ولكن ردود الفعل متفاوتة، فأين الخلل؟!

البـعض يقول: هذه الكتـابات تدل على الجنون والغبـاوة، لماذا تلقى بنفســك الى التهلكة.. إعزف مـوسيقى العـصر، بدلاً من ان تكون نغمة نشـاز!

البعض الآخـر يقول: كلا! ان هذه الكتـابات تفتقـد الى الجرأة، نريدك ان تسـخن قلمك، وتكتب، وتهاجم.. و.. ما هذا الجبن؟!

والبعض الثالث يقول: ان هذه الكتـابات صعبة، ويريد الانسان ان يقـرأها اكثـر من مـرة، حـتى يعرف مـاذا يريد ان يقـوله هذا الكاتب.

والبعض الآخر يقول: ماهذه التفاهات التى تكتبها، عن الهمبة.. والبمبر.. والاكل، إحنا ناقصين!

والبعض يقول: عظيم.. والبعض الآخر يقول زفت وهباب!

أين يكمن الخلل.. هل فى الكتـابة والكاتب.. أم فى القارىء.. ام فى الثقافة السـائدة؟!

خوران

لدى كل كـــاتب، أو على الاقل لدى بـعض الكتـاب، نـزعـة، أو هـاجس من الشك، تجاه ما يكـتبونه، هل ما يكتبـه الكاتب يستحق القراءة، وهل له رد فـعل لدى القارىء، أم أن ما يكتـبه الكاتب هو مجرد فقاعات هوائية، تتلاشى فى يد اول قارىء؟

هذا الهـاجس، أو هذا الشك، يجعـل الكاتب، يخور كـما يخـور الثور، وهو فى طريقه الى المذبح الـيومى، والمذبح اليومى هو عين وقلب وعـقل القارىء، الذى يتـوجـه اليه الكاتب، وبالذات كـاتب العمود اليومى، تجاه نفسه وتجاه قراءه.

الاسئلة كثيرة، والاجوبة مـقلة، من يستطيع أن يقيس مقدار ما يكتبـه، يقيس مدى منفعـته لقراءه، هل من خـلال التكرار اليومى ليصبح الكاتب عادة لدى القـارىء، أم من خلال قياس ردة الفعل لدى القارىء.. أم من خـلال الرسائل التى تنهـال على الكاتب.. أو المكالمات الهاتفية.. أم من خلال الصمت.. لا أدرى!

نماذج

ثلاثة نماذج من رسائل وردت اليّ، استعرض لكم من خلالها، نماذج لطبيعة نوعيات من القراء، تلخص الواقع المعاش.

القارىء الاول: ارسل رسالة طويلة، من ثلاث صفحات، يسخر، ويتهكم فيها، على مقال واحد، من 99 مقالاً، تطرقت فيها، الى موضوع صحة المواطن، والمستهلك، وما يتعرض له من ضرر في صحته وماله.. واسلوب القارىء جميل، ويمكن نشره في بريد القراء، لولا ان شجاعته خانته، ولم يضع اسمه على موضوعه، وحسب سياسة النشر في الصحيفة، لايمكن نشر رسالة دون اسم وعنوان.

والقارىء الثاني: هو الآخر، ارسل رسالة مكتوبة على طريقة حكايات ابن المقفع، وهي حكاية جميلة وشيقة، وليس عليها محاذير، ولا عواقب، الا ان القاريء الشجاع، طبع تلك الرسالة، على آلة كاتبة، وبلا اسم ولا عنوان ايضاً!

اما القارىء الثالث: فهو الآخر، بعث رسالة، ينصح فيه الكاتب، بأن يبق البحصة من فمه، ولا يدور ويلف في كتاباته، حتى يضع

الاصبع على الجرح، والقاريء المتـذاكى، هو الآخر يطبع رسالته، على آلة طباعة مجهولة، ولا يذيل رسالته باسم الكريم.

ثلاثة نماذج، تعبـر عن حالة مـرضية، من التـذمر والشكوى.. تقول اذهب وقلمك.. الى الجحيم.. فنحن هنا قاعدون، ولكن اقول مسامحة يا كبكب.. عبالى خناق!



نماذج

أى النماذج أفضل؟ والنماذج المقـصودة هنا، ليست «المساطر» كمـا يقول أهل الشـام، ولا «السنابل» كما يقـول اهل الخليج، ولا «العينات» كما يقول اهل مصر.

النمـاذج هنا، عينـات من الصحـفيين الذيـن يعيـشون مـابين المطرقة والسندان، وكل من هؤلاء الصـحافيين، يتعامـل بطريقته الخاصة، حتى لا يتعرض للتكسير، ما بين هذه المطرقة والسندان.

وتقـدم لنا الصحـافة المصـرية نماذج واضحـة، تختـزل هذه المعاناة، من خلال عينات من الصحافيين، نستطيع ان نستكشفهم من كتـاباتهم.. ودون ان نسميـهم.. مارسو هـذه الطريقة او تلك، طوال الفترة الماضية.. وربما الحاضرة!

النموذج الاول: مـجموعة من الصـحافيين، كـانت تختلف مع النظام، في فـتـرة حكم عـبـدالنـاصـر، وكـانت تكتب وتنتـقـد، وتشـاكس، وتدخل المعـتـقل، وتخـرج من المـعـتقـل مـن اجـل رأيهـا، وعـندمـا رحل النظام الناصـري، كـانـت هذه النمـاذج المعارضـة فى حينهـا، هى اكثـر الاصوات دفاعـاً عن ذلك النظام! وتقييم ايجابياته وسلبياته من موقع الناقد العاقل.

والنموذج الثـاني: كانت مجمـوعة من العاملين فى الصـحافة، ورغم كرههـا لذلك النظام، الا انها كانت تكتب، فى ظل جـبروته، عن كل مـا ليـس له عـلاقـة بهـذا النظام، عن الـعـالم واحـواله، وأرواحه، وغـرائبـه، وطرائفه، ولم تتطرق بقلمـها، من قـريب او بعيـد، الى واقع الحال المعـاش.. وعندما سـقط ذلك النظام، الذى ظلت تكتب في صـحافته، وتنعمت بـطيباته، انقلبت عليه، واغمدت فيه السكاكـين، ودمغته بالارهاب، مبـررة موقفهـا السـابق، بعدم ابداء رأيها، بأنها كانت تريد الاستمرارية بالكتابة، فى ظل ارهاب الدولة، فاتجهت الي ذلك النوع من الكتابة.

والسؤال من هو علـى صواب؟! النموذج الاول.. الذى عـبر عن رأيه فى حـينه، وتعـذب، وشقى، ام النمـوذج الثـانى، الذى تمتـع بمكاسب النظام فى حينه، واغمد فيـه الخناجر، اقصد الاقلام بعد سقوطه!



الكتابة فى الميت حرام!

كـثيـر من الاصدقـاء، والاصحـاب، والقـراء يتسـاءلون: اين كتاباتك؟ اليس من المفترض، فى كاتب مثلك، ان يكتب على الاقل، ولو مقـالا فى الشهر! وكنت اتعلل فى اجـاباتي على تساؤلاتهم، بمشـغوليـات العـمل الاداري، او بتعليـلات مـالها فى البـال من حسبان، تأتى من وحى اللحظة!

وفى الواقع، فإن تلك التساؤلات تسـعدني من جهة، لأن هناك لا يزال من يتذكر من يكتب ماذا، وكـانت من جهة اخرى تؤرقنى، لدرجة الالم، فالكاتب عندما يبتعد عن قلمه، يعانى معاناة امرأة لا تنجب، الكاتب بـدون قلم، ولا ورقة، ولا قـارئ، كـالارض بدون ماء، ولا زرع، ولا ثمر.

الكتابة بالنسبة لى مقدسة، لا تخضع للحرفنه، بقدر ماتخضع فى جوهرها لها جسين، الأول، ان يكون لدى الكاتب شـيئا يقوله، ليس للإسـترزاق، فـحصـيلة كبـيرة مما هو منشـور حاليـا فى الصحـافة العربية، يـندر ج تحت بند لقمة العـيش، والدليل بأنها كـتابـات بلا لون، ولا طعم، ولا رائحـة، ولا قراء، امـا الهـاجس الثاني، فهو ان يـكون الطرف الثاني، اكثر فهما، وتـقبلا لما اقوله،

اقصـــد ليس قبـولا فى وجهــة النظر، وانا لا املك الحقـيقـة كلها، ولكن تقبلا فى مبدأ الحوار.. والرأى، والرأى الآخر.

اما العلة الثالثة، وكثير من العــاملين فى الصـحافة يجهلونها، او يحاولون تجاهلها، فــأن الكتابة، وابداء الرأى، تتطلب فى خبرتي المتواضعة، ان تكون لدى الكاتب «المعلومات» و «التجربة العميقة» و «وجــهــة النظر» الخـاصــة، التى تعـرف مــا تريد، فى خـضـم عــواطف، وانواء عصــرنا الراهن.. وكل هذه الامور مــفقـودة فى عالمنا الصـحافى العربى.. وبالتالي كنت اؤمن بأن الكتابة فى الميت حرام!



صحافي.. ولد..!

أن تكتب.. يعني أن تكون مطالبا في ظل مجتمعاتنا الراهنة، بحمل كل هموم، وشجون الافراد، بمختلف فئاتهم، واينما تولي وجهك، فسوف يصادفك أمرين.. أو أمرّين لا فرق، أحلاهما مر.

الرأي الاول يقول لك: لماذا لا تكتب عن القضية الفلانية.. والعلانية.. و.. و.. وهل انت جبان؟

والرأي الثاني، يقول لك ايضا، لماذا كتبت عن القضية الفلانية، والعلانية.. الا تخاف من ادخال اصابعك، الى عش الدبابير! والادهى من ذلك كله، انك ان كتبت عن تلك القضية، قيل لك بأنك طائش، ومتهور، ولا تقدر الاوضاع حق قدرها، وان قدرت الاوضاع حق قدرها، ولم تكتب، فسوف يقال لك، بأنك خواف وجبان، ولقد تم شرائك.. كأنه بقيت فلوس للشراء والبيع!

والمهم، انك كصحافي، ستكون متهم في كل مكان وزمان، حتى تكتب ما يريده كل قارىء، وإن رأيه الذي يقوله، او قضيته الخاصة التي تؤرقه، هي قضية المجتمع الاولى، وعليك ان تنشرها على جميع اعمدة الصحف، دون ان تشير الى اسمه، وعنوانه، من قريب او بعيد.. وتتحمل لوحدك، أي مسؤولية قانونية.. فأنت صحافي.. ولد.

القدر المشؤوم

عندمـا امـسك القلم، لأكـتب بعـد عـشـرين عـامـا من العـمل الصـحـفى، احس بأنى اكـتب كـمن يمسـك القلم لأول وهلة، ان تكون صـحفى هو قـدر مشؤوم، وقديما وصفوا فأبدعـوا، حينما قالوا بأنه تعاطى حرفـة الادب، والتعاطى لا يكون إلا إدمان، وهل يكون إدمان اسوء من ادمان الصـحافة فى عالمنا المعاصر.

الصـحافـة هى روح، يكون الله قد اعطاك الموهبـة فيـها، مـثل موهبـة القاص، والشـاعـر، والرسـام، الله يعطيك الموهبـة، والعمل الشـاق يشـكل فيما بعد 98٪ منها.

وان تكتب يعنى ان تكون يدك بيضـاء، ليس لك غرض شـخصـى فيما تنتقده! وان يكون قلبك حاراً متدفقاً بحرارة الموضـوع، الذى تكتب منه وعنه، وان يكون عـقلك بارداً، تفكر فى مصلـحة وطنك والناس، لافى مصـلحة عـائلية، او فئة طائفـية، او مكسب دنيوي، وان تكون كالقاضـى، وما ادراك مادور الـقاضـى، فى عصـر سيف المعز وذهبه، وفى روح القطيع السـائد، الكل يريدك ان تكتب مايود أن يسمعه.

وان تكتب، يعنى ان يتـقبل اهلك وناسك مـاتكتب، وانت تكتـبه بحـسن نية، وسـريرة طاهرة، وقديما قـيل رضا الناس غـاية لا تدرك!

حوحوة

يذكرني بعض القـراء ، ونظرتهم لبعض الصـحافـيين ، بذكرى صبـيانية كنا نقوم بممـارستهـا، فى عهد الفرجـان القديمة التى هجرت ، ونرى مـحاولة احياء هذا التراث الصبياني، على صفحات الصـحف .

وفى ايام زمان ، كـان فى براحة كل حى، مكان لكـلب الفريج ، وعادة مـا يكون الاطفال الصـغـار قد قطعوا ذيـل هذا الكلب، حتى يصبح شـرسـاً ، وربما قطعوا جـزءاً من اذنيه أيضـاً، حتى يزداد شراسة ، ويصبح معلم من معالم شراسة صبيان هذا الفريج .

وعندما تحين السـاعة المناسبة ، يـبتدأ التحـريش بهذا الكلب ، ضد المارة الابرياء ، أو ضد صبيان الاحياء الأخرى ، او من خلال تحريشـه بالكلاب الاخرى ، وكلمـا كانت حـوحوة الكلب عـالية ، وتحرشه بالآخرين خشنة ، كلما زاد الاعجاب بالكلب ، وحاز على السمعة الحسنة بخشونته .

اما اذا لم يقم الكلب، بـدور التحرش المطلوب منه ، والذى يثـير اعجـاب الصبـية ، فـسـتـتم «تغوية» الكـلب الجبـان .. الخواف ..

وتســريبه الى البـر .. او الى البــحر .. أو اهمــاله حتى يهـرب من الجوع .. حسب قسوة قلوب اولئك الصبيان .

بعض القراء يطالبون بأن يقوم الصـحافيين بدور الحوحوة .. والا قطعوا ذيله حتى يزداد خشونة .. وحوحوة!



دليل القارىء الذكى

اذا اراد القارىء الذكى أن يعرف مدى ديمقراطية الذين ينادون ، أو الذين يكتبون من ديناصورات المحاربين القدماء عن الديمقراطية ، والذين تحولوا بين ليلة وضحاها، من اقصى الديكتاتورية الى اقصى الديمقراطية، عليه ان يضع هذه الديمقراطية المتأخرة على محك الاختبار .

ومحك الاختبار ، هو ان يكون لك حرية فى أن تملك رأياً مخالفاً ، لرأى هؤلاء المنادين بالديمقراطية المفصلة على ذاتهم ، فعند ذاك سوف تكتشف بأن ديمقراطيتهم، هى فى الواقع، دكتاتوريتهم القديمة، التى البسوها ملابس الديمقراطية .

ولن يكون رأيك المخالف لهم، هو رأى قد نختلف معه ، ونفنده بالحجة والمنطق، للوصول الى الرأى الصحيح ، لصالح المجتمع والناس ، ولكن سوف تكتشف مفردات المحاربين القدماء قد خرجت من قلوبهم حارة ، تنهال عليك ، خائن ، عميل ، متساقط ، انتهازى ، رجعى ، برجوازى ، امبريالي ، ... الخ .

وأين الديمقراطية إذن ؟ وأين الحرية إذن ؟ عندما كتب جون بول سارتر مسرحيته الأيدى القذرة فى الاربعينات ، يصف حال

المحـاربين الذين لم يكونوا عند ذاك قـدماء .. كـان يضـع يده على الجرح، ويـكتشف قـبل الآخرين بأربعين عـاماً ، بأن المحـاربين الذين صـاروا قدماء ، لن يـتغيـروا .. وان الرجل العجـوز يموت وتموت عاداته معه، مهـما نادى بالديمقراطية، لانه رضع وتربى على الدكتاتورية !



أسلوب وأسلوب

ذهبت الى زميل المهنة ـ الله يعطيه العافـية ـ الاستاذ ابراهيم حسن كـمال، وأنا قادم بطموح واندفـاع الشباب، لأتفاوض مـعه لأتولى إصـدار مجلة المجـتمع الجـديد، والذى كان يملك امـتيـاز صدورها فى السبعينيات، قبل أن تتوقف فيما بعد بشكل نهائى.

والذى يعـرف الاسـتـاذ ابراهيم حـسن كمـال، ودمـاثتـه فى الحـديث، ويعـرف اندفاعـى، وأحيـانا رعـونتى، لايسـتطيع ان يتصور، كـيف يتفق الابراهيمان.. المهم تم النقاش حول كـثير من النقاط المالية والتفصيلية، ووصلنا الى نقطة تحديد سياسة المجلة فى تناولها للأمور، وكان الاستاذ ابراهيم حسن كمال، يشرح لى وجـهة نـظره، فى اسلوب الكتـابة، والنقـد والانتقـاد، قـائلا: يا ولدى.. اذا شـاهـدت انسـانا، يلبس قـميصـا لايناسبـه، أو منظره قبيح، فهناك اسلوبان لقـول رأيك، الأول ان تقول له، هذا القميص الذى تلبسه، قـميص قبيح اللون، كريـه، لايناسبك، ومن الافضل لك ان تغـيـره، والاسلـوب الثـانـى أن تقـول له: أليس من الافضل، والاجمل بالنسبة لك، لو كنت تلبـس قميصا، ذا لون آخر

يناسبك، وتقول له مثلاً: إن اللون الأزرق يناسب بشرتك بصورة أفضل.

وأضاف يكمل حديثه: وأنا اميل الى الاسلوب الثانى، فهو اقرب الى طبيعتى..

وتطلعت اليه، لا استطيع ان اقول لشخص فى مقام والدى، وأنا بطبيعتى المندفعة النقدية، أميل الى الاسلوب الاول، واقول للأعور أنت أعور! فى عينه الواحدة فسكت، وواصل حديثه قائلا: وطبعا سيكون ابنى حسن، هو المسؤول المالى عن المشروع.. ووجدتها فرصة فقلت لنفسى.. أنا وين وحسن وين.. ثلج ونار! ولم ينجح المشروع!



حروفيات

تنسب الى الامام محمد عبده مقولة، تعبر عن كفره بالسياسة، بعد فشل الثورة العرابية، حيث قال: لعن الله كلمة ساس، ويسوس، وحرف السين، وكل مشتقات السياسة.

ويروي أحد الكتّاب العرب، بأنه كان يعمل معهم أحد الصحافيين، الذى كان هو الآخر يتضايق من كل عبارة، تصب فى نفس سياق مقولة الامام محمد عبده، لكن مطبقة فى عالم الصحافة بشكل مختلف، فهو يبتعد عن الدال كحرف، وليس كعدس، ومشتقات حرف الدال، وهى الدين، والداخلية، والدفاع!

. وأضاف ذلك الصحافى العربى معلقا: ولقد توسع العاملون فى الصحافة العربية، فى إضافة المشتقات الامنية الاخرى، فبالاضافة الى السياسة، والدين، والداخلية، والدفاع، يضاف الاقتصاد، والخارجية، والاعلام، والنفط، و... يمكن إضافة كل سين، او دال جديدة، حسب الحقبة الزمنية، ومتطلباتها الحروفية!

نجاح

ان اللغط، والحديث المتواتر عما يكتبه اي كاتب، إنما يدل إن دل على شيء، بأن طبيعة البشر مختلفة، ورؤيتهم للأمور، وتقييمها هو الآخر يتم بـاختلاف، وليس في هذا الكـلام بشيءجديد . . الا إنه لا يزال محور نقاش.

ويوضح القـصاص المشـهور جى.دى موبـاسان هذه العـبارة قائلاً: الواقع الجمهور يتكون من مجموعات عديدة تصرخ:

- متعني!
- اضحكني!
- إجعلنى حزيناً.
- إجعلني ارتعش.
- ابكني.
- دعني أفكر.
- نخبة ضئيلة تناشد الكتاب: اصنعوا شيئاً جميلاً، بالشكل الذي يكون أفضل لكم، وفقاً لمزاجكم.

المبدعون يحاولون، قد ينجحون أو لا!

فراش الزوجية

كلما امسكت القلم، كلما تذكرت حكاية أوربا فى القرون الوسطى، حيث انه فى ذاك الوقت، وفى ظروف سريان حرمة الطلاق فى الدين المسيحي الكاثوليكي، ابتكرت النساء اللواتى يردن التخلص من أزواجهن، طريقة بسيطة تتلخص بتقديم شكوى كيدية، الى محكمة خاصة، يطعْن فى ذكورية أزواجهن، حيث يقلن أن الزوج يعانى من العجز الجنسى، ولا يستطيع ان يقوم بمهامه الزوجية المطلوبة منه!

وتصدر المحكمة أمرها للانعقاد، للتحقق من هذه الشكوى، حول فراش الزوجية، حيث على الزوج المتهم، أن يثبت قدرته الذكورية، فى مواجهة تهم الزوجة، والطاعنة فى تلك القدرات!

وعلى فراش الزوجية، تعقد المحكمة جلستها للنظر فى القضية، موضوع الاتهام، والمكونة من قاضى المحكمة، ومن قاضيين مساعدين، ومن سكرتير المحكمة، والحاجب الذى يعلن بدء الانعقاد، ومن الشهود، ومن المحلفين، والكل ينتظر، وهو يراقب الزوج المطعون فى ذكوريته من قبل زوجته، حتى يثبت قدرته الجنسية، أمام كل تلك العيون المراقبة!

فأى قدرة نفسية للزوج المسكين، لكى يستطيع ان يقوم باثبات فحـولته، أمــام كل تلك العيـون المراقبـة، وأى اثبات يســتطيع ان يقـدمه فى تلك الـلحظة، على براءته من التـهمـة الموجـهة اليـه.. والنتيــجة طبـعاً ســتكون الفشل الذريع من نصــيبـه.. أمام دهاء الزوجـة الماكـرة.. والتى تنجــح فى النهـاية، فى الحـصـول على الطلاق، بعد ان زرعت الفشل فى ذهن الزوج!



القرد والقطة

فى بدايات السبعينيات، وعندما كانت منطقة الخليج بكرا فى تطلعاتها الاستقلالية، وفى طموحاتها، تكالبت الزيارات الصحفية، وغير الصحافية على هذه المنطقة، والكل زائر الخليج لغاية فى نفس يعقوب.

وعندما يقول المثل، ان النيات الطيبة تقود لجهنم، فى بعض الاحيان، لم يتم استخلاصها من فراغ، بل من تجارب وعبر، وكان من هؤلاء القادمين، صاحب جريدة سياسية، يبحث وينقب عن طموحات ديمقراطية، وتطلعات شعوب المنطقة، وكان ينشر ويبرز، صور أصحاب ذوى النيات الطيبة، يدلون له بالاخبار المنوعة، والتصورات الاخرى، وكان صاحبنا ينشرها بالبنط العريض.. وبالاسماء والصور.. وكأنه المنافح عن الديمقراطية.. والمعارضة.. والحرية.. ولكن يقولون اذا عرف السبب بطل العجب!

والسبب، الذى لايعرفه ذوى النيات الطيبة، وانجرفوا وراء ظاهرة النشر والحرية، بان صاحب تلك الجريدة ، يريد ان يقول للأنظمة كم سوف تدفعون لى.. واسكت!! ألا تذكركم هذه

القصــة.. بقصــة ذلك القرد، الذى اســتعـمل أصابع القطـة، حتى يســتخـرج الكستنـاء المشوية من النار.. فـيأكـلها القـرد بالهناء والشفاء.. وتحترق اصابع القطة؟!

وطبـعا القـصة لم تكتـمل بعـد، فلا يزال كـثيـر من نفس تلك النوعية من الصحافـيين يمارس نفس اللعبة، ولكن باسلوب آخر، وبدلا من نشــر الآراء المعـارضــة .. اصــبـحـوا ينشـرون الآراء، والمقالات، والموضوعات المدبجة بالثناء والمديح!



تفسير وتفسير

لم اضحك بقدر ماضحكت، من تفسير أحد القراء لحكاية الثعلب والأفيال ، لقد اتصل بى أحد القراء متسائلاً ، عن ماهية مغزى تلك الحكاية ؟ فقلت له، إن المغزى هو مايفهمه كل قارىء، حسب مستواه الثقافى ، فالكاتب ليس ملزماً بتفسير كل مايكتبه ، وإلا علينا، ان نوقظ ابن المقفع من قبره ، ليفسر لنا مر موزاته الحيوانية، كلما استعصى علينا فهم مرامه .

الا أن القارىء اصر، على معرفة ما أرمز له ، فقلت له أيضاً أن الكاتب ، عندما يكتب، فأنه يلتقط المغزى العام، لواقعة محددة ، لكى تصبح صالحة لكل زمان ومكان .. وليس ذنب الكاتب ، إن قام أحد ما ، بإسقاط مايقرأه ، على واقعه المعاش ، سواء فى زمنه، او فى الازمنة اللاحقة .

وواصل القارىء ،اصراره على طلب الشرح والتفسير ، فقلت له، اخبرنى ماالذى فهمته من حكاية الثعلب والافيال، فقال : ان الثعلب ، الذى لعب مع لاعبين من غير جنسه ، ولا من حجمه ، وهى الافيال ، قد اصيب بالأذى من جراء ذلك .

قلت له : ذلك بعض ماتقوله الحكاية !

فقال : أنت تقصــد هنا ، «النادى الفلانى» فى لعبه مع «النادى العلانى» ، وهنا لم امنع نفــسى من قهقهة ، لم اضــحكها منذ زمن بعيـد ، فأنا قد تركت الرياضــة منذ دخل فى مرماى ســتة اهداف منذ زمن بعيـد ، وصـفحــة الرياضة، هى الصــفحة الوحــيدة التى لاأقــرؤها ، والمباريات فــى التلفاز هى عــدوى اللدود ، وحــتى لم تنفــع كل مـــحــاولات الاهــلاوية والزملكــاوية، من جـــري الى مبارياتهما في القاهرة .. وحتى من دفعي للذهاب لتخفيف الوزن!

وواصل القــارىء اصراره عــلى اتهامى، بأنـــى اقصــد «النادى الفلانى» ، وواصلت اصراري على ان ذلك الخاطر هو آخر ماكان يرد على بال الكاتب .. فمن هو المسؤول ؟!



قراء

ثلاثة نماذج من رسائل وردت اليّ، استعرض لكم من خلالها نماذج لطبيعة نوعيات من القراء تلخص الواقع المعاش.

القارىء الأول: ارسل رسالة طويلة من ثلاث صفحات، يسخر، ويتهكم فيها على مقال واحد من 99 مقالا، تطرقت فيها الى موضوع صحة المواطن والمستهلك، وما يتعرض له من ضرر لصحته وماله.. واسلوب القارىء جميل، ويمكن نشره فى بريد القراء، لولا ان شجاعته خانته، ولم يضع اسمه على موضوعه، وحسب انظمه النشر فى الصحيفة، لايمكن نشر رسالة دون اسم وعنوان!

والقارىء الثانى: هو الآخر ارسل رسالة، على طريقة حكايات ابن المقفع، وهى حكاية جميلة وشيقة، وليس عليها محاذير، ولا عواقب، الا ان القارىء الشجاع، طبع تلك الرسالة على آلة كاتبة، وبلا اسم ولا عنوان ايضا!

اما القارىء الثالث: فهو الآخر بعث رسالة، هى الاخرى ينصح الكاتب فيها، بأن يبق البحصة من فمه، ولا يدور ويلف فى كتاباته، حتى يضع الاصبع على الجرح، والقارىء المتذاكى هو

الآخر يطبــع رسالته، على آلة طابــعة مجــهولة، ولايذيل رســالته باسمه الكريم!

ثلاثة نماذج، تعــبر عن حــالة مرضيــة من التذمــر والشكوى.. تقول اذهب وقلمك.. الى الجحيم.. فنحن هنا قاعدون، ولكن اقول مسامحة «ياكبكب».. عبالي خثاق!



بيوت من زجاج

يبدو ان الصحافيين، الذين هم اكثر الناس انتقاداً للآخرين، هم اكثر الناس الذين بيوتهم من زجاج، والادلة على ذلك كثيرة، وهى تظهر يوماً بعد يوم.

فى الصين، ما زال الصحفيون الصينيون، يتقاضون رشاوى سخية، نظير حضورهم المؤتمرات الصحافية، حيث ان احدى المؤسسات دفعت 26 دولاراً، لكل واحد من الصحافين، الذين حضروا مؤتمرها الصحافى، من خلال ظرف احمر صغير، يحتوى على المبلغ.. واللون الاحمر، ربما للتذكير بالفقيد ماوتسى تونغ، ولذا حذرت دائرة الترويج للحزب الشيوعى، من عدم ضرورة اقامة خط فاصل بين الاعلان والاعلام.

أما فى ايطاليا، فأن الفساد يبدو انه لم يصل الى البابا فقط، فلقد عم الاولى والتالى، وابسط مثل على ذلك، ان اسرة فيروترى، قد خططت حملة رشوة، بمبلغ 700 الف دولار، لتستميل كبار الصحافيين، من ذوى النفوذ فى الصحف الايطالية، كما قد تم اكتشاف قائمة، بأسماء الصحافيين، الذين استلموا دفعات حالية، فى مسلسل فضائح الفساد.

لقد دفــع هذا الامر، بأحد الــصحافــيين البريطانيين، الــى نشر مقــال تنـــاول فــيــه عينــات مـــن فـساد الصــحافــيين فـــى ايطاليـــا، واطلـــق عليـــهـــا بالمصطـلـــح الايطالـى عــبــارة الاقـــلام غير االنظيفة PENNE SPORCHE.

الا ان بضعـاً من الصـحافيين الايـطاليين، ردوا قائلين، ان هناك بين الصحافيين من هم فاسدون، ولا يسـتطيعون مقاومة الهدايا، ولكن دعونا الا ننسى ان آخرين، يســاهمون فى تعرية العديد من الحقائق غير المريحة، التى تحاول السلطات دائماالخفاءها.

ولقد وضّح احد كبار الصحافيين الايطاليين، الفرق بين الرشوة والهدية، قائلا: بعد ان اجريت لقاءً مهـماً، مع احد كبار المعماريين، ارسل لى هدية تذكـارية، وعندما فـتحـتهـا، وجدت فـيها قطـعة ذهبية، تساوى عشرات الدولارات، فماذا كان على ان افعل؟ وهل يجب على اعادتها له؟ بالطبع لم أفعل!

لا ادرى مــاذا سيكون مـوقف بعض الزمــلاء من الصــحفــيين العرب.. اعتقد انهم قلة.. فهم لا يرتشون.. ولا يداهنون..!!

اعلام

مسكين كلينتون.. رئيس الولايات المتحدة الامريكية، عندما واجهته محطات التلفزيون الرئيسية، برفضها لنقل مؤتمره الصحافي، وذلك بحجة انه لا يدلي بتصريحات كافية، ولا يجيب على الاسئلة بوضوح وصراحة.

وبالفعل لم تنقل تلك المحطات الثلاث المؤتمر الصحافي، ونفذت قرارها، وحينها اعلنت المتحدثة باسم البيت الابيض، عن عدم ارتياح كلينتون لمقاطعة محطات التلفزيون الرئيسية لمؤتمراته.

وكان كلينتون قد اختصر مؤتمره الصحفي، فى تعبير عن غضبه، بعد سؤال واحد، وجهه مراسل الـ إن. بى. سى الذى سأله: لماذا هناك تذبذب فى اتخاذ القرارات فى داخل الادارة الامريكية؟ ورد عليه كلينتون غاضباً: كيف يمكنك ان تسأل سؤالا كهذا، وادار ظهره، وترك المنصة رافضاً المزيد من الاسئلة.

ويواجه كلينتون، انتقادات حادة مستمرة، من وسائل الاعلام الامريكية، التى تتهمه بالتردد، وعدم القدرة على اتخاذ القرار.

الا يرسلون هؤلاء الصحافيين المشاغبين فى «كورس» الى بعض البلدان العربية حتى يتأدبوا!

اكتئاب

لنقرأ التوهم، والاحباط، والاكتئاب والانهزام، والنياط، ولطم الخدود، والدموع، والميلودراما التى خلقها لنا المرحوم يوسف وهبى، والكبريت اللى زى شرف البنت ما يولعش الا مرة واحدة، والاغانى التى تصيب القلب باليأس من الغرام والفراق، والافلام المحبطة، والقتل، والقتال، والجوع، والمجاعة، ولم يبق شىء فى هذا العالم يدعو للفرح.. أو الأمل للكتابة عنه.

ولم يبق عمود، أو كتابة صحافية، او مقالة لكاتب، لا تجده يلطم على خده، وخدود القراء، وأصبحنا جميعاً وعاظا، ولا واعظا من القرون الوسطى، أو من أولئك الفقهاء الذين لا تتجاوز ثقافتهم ثقافة التخويف من عذاب القبر.

أينما وجهت ناظريك، سوف تجد هذا الكم الهائل من الوعظ والتخويف، والاحباط، والحزن، ونكران الابن لأبيه، والبنت لأمها، والجار لجاره، و الصدىة. اصـدىقه، والمحبوب لمحبوبته، والدولة ا -كوم،

وا'

أو بر- ى

الاقل مقالة نفسى ـ ،ـسـئـابكم

وإحباطاتكم.. وانيرونا بشمعة تبعد الظلام عن عيوننا..الله يخليكم!

حامل الرسالة

صحيح.. الى اى مدى تساهم الصحافة فى الترويج للأفكار الخاطئة؟ أو بث الافكار المتضاربة عن المخاطر الصحية.. وأبسط مثل على ذلك، هى تلك الفتاوى الصحية الكثيرة المتضاربة فى صحتها.. ففى كل يوم تقول الصحافة لا تأكل هذا.. بل أكل هذا.. وبعد فترة تقول لا تأكل ذلك.. ولكن أكل ذلك.. والقارىء المسكين لا يدرى من يصدق.. هل يصدق هذه المخاطر الصحية التى تبرزها الصحف.. وتثير فيهم الرعب بين حين وآخر؟! أو يصدق التقارير التالية التى تناقض ما قد نشر سابقا؟

لقد طالعتنا الصحف، بالأخبار المتواترة، والمتضاربة، بدءا من قصة الهواتف النقالة، التى تسبب المضار فى الدماغ.. حتى أضرار خلاصة مرق الدجاج، ولا ندرى كيف يستطيع القارىء، أن يتعامل مع هذه الافكار والاخبار.. وبالذات ان كثيراً من هذه الاخبار، ليست خالية من الاغراض التجارية، خصوصاً فى قضايا الزيوت.. فمن الزيت الحيوانى، الى الزيت النباتى.. الى زيت الزيتون.. الى المارجرين والزبدة المصنعة من دهون نباتية، والتى تتحدث التقاريرمؤخرا عن مضارها ..الخ

ماذا يصدق القـارىء المسكين.. ما نشر قبل سـنة؟! او ما نشر قبل ستة أشهر؟! او ما نشر فى صحيفة اليوم؟! أو ما سينشر فى الغـد؟!. ولكن السؤال هـو هل يحاسب الرسـول على مـا ينقله.. ونعاقبه.. أم للرسول مستلزمات هو غير مسؤول عنها؟ هل يجب علينا كصحافة ان نلاحق مثل هذه الاخـبار والتقارير ونتأكد من صحتها؟ وكيف نستطيع أن نتأكد من صحتها؟! مرة اخرى أليس من الضرورى وجـود جمعيـة حماية المسـتهلك؟ لقد صار اكـثر الحاحا من أى وقت مضى؟!



حرية الفكر

تثار الآن فى اروقـة جامـعة القاهرة قـضية حـرية الفكر، بين استاذ تقدم بابحاثه، وكتبه العلـمية، للحصول على الترقية، وبين قرار مجلس الجـامعة، الذى قاده استـاذ آخر، معترضـا فيه، على آراء وكتـابات الاستـاذ الأول، المختلف عنه فـكريا.. والقضـية لا تزال ساخنة على صفحات الصحف، وفى اروقة الجامعة.

وأعادت هذه الحكاية الجديدة، بعـض حكايات عن «نوعية» من الاساتذة، فى رؤيتهم لادارة الحـوار، ورؤية الطرف الآخر، وكنا فى سنوات الجـامعة، بـعض التلامذة مـن البحريـن، والسودان، واليمن، وكنـا نحاور، ونجادل الاسـاتذة، حتى صرنـا فى نهاية الامر، نحن الشـاذين عن القاعدة، فكان استاذ المادة التى ندرسـها، يدخل الفصل، ويضع كفه على عينيه، كمن يبحث عن شيء ما، ثم يقول متسـائلا: فين دول المشـاكسين.. اللى بيسألوا أسئلة كثيرة.. وبيناقشوا كثير!

تصـور، انك تدمغ بالمشـاكس، فـقط، لأنك تسـأل فى حرم فصل الجـامعـة، أما الاسـتاذ الآخـر، فكـان يعـطينـا مـادة المجتـمـع العـربى.

وكـانت كلمـتـه الخـالدة التى لن ننسـاها: أنا مش عـاوز حـد يتـفلسف علـى ويجـيب لـى آراء تانيـة.. اللى فى الكتـاب ده «تصـموه».. واللى يجـيب كلمة تانيـة حيـسقط فـى الامتـحان.. فاهمـين! ولا نجد أمامنـا خيارا، الا ان نردد مـعه ونهـز رؤوسنا كالحمير قائلين : نعم.. نحن فاهمين يا دكتور!



المتسللة الفواحة

الكثير من المشاهدين انتظروا مسلسل محفوظ عجب، ذلك الصحافي الذى يجسد شخصية الانتهازي، المتسلق، الذى يتعامل من تحت الطاولة مع جميع الاطراف، حكم ومعارضة، يمين ويسار، مخابرات وشرطة، دول وحكومات، على مختلف العصور، للوصول الى هدفه الشخصي.

وكاتب العمل صحافى، يحاول ان يستخلص من كل مافى نماذج الحياة حتى يجسدها فى رموز، تكثف وتلخص مختلف فئات الناس، وتجسدها فى شخصية الانتهازى الصحافى محفوظ عجب.

وطبعا لست هنا فى مجال الدفاع عن الصحافة، والعاملين فى الصحافة، فإلقاء الضوء على هذا القطاع واجب، لإزالة الهالة عن جزء من هذا القطاع، الذى فيه مافى غيره من جوانب مظلمة.

وفى كتاب صدر تحت عنوان المرشد الى الصحافة، وهو فى الحقيقة المرشد الى عالم المخادعين كما يسمية المؤلف، والذى يستعرض فيه بإسلوب ساخر، نماذج مختلفة من الصحافيين المخادعين الذين يؤمنون بشعار (طالما تستطيع ان تخادع الناس، فأن المكافآت الاخلاقية والفكرية والمادية ستكون لك).

ويرى مؤلف الكتاب نايجل فوسترب بأن الصحفيين ينقسمون الى سبعة انواع منهم: المتسللة الفواحة، وهى صحافية انثى، كثيرا ماتكون متكتمة عن كيفية حصولها على وظيفتها، والآنسة (السيدة) المعتدة بنفسها، الحائزة على درجة جامعية عديمة الفائدة، ويواصل الكاتب استعراضه للصحافى الذى يظل راضيا بأن يكون مساعداً للأبد، وذو الاتجاه المفرط الذى يدعى بأنه على اتصال بأحدث البدع، والازياء، والقيل والقال، وبشعور الآخرين.

ويرى فوستر، بأن هؤلاء كلهم مخادعون، ولكن ما يميزهم اعتقادهم بأن كل فرد منهم على حدة أعظم كاتب صحافى فى العالم.

وعلى هامش الموضوع، نتطرق الى فضيحة رشوة أحد أشهر صحافى فرنسي، وهو مذيع القناة الأولى فى التلفزيون الفرنسى باتريك بوافر دارمور، الذى اتهم بالحصول على حوالى مليونى فرنك، على شكل دعوات مختلفة، يرفه بها عن نفسه بالر حلات على الطائرات الخاصة، وبالدعوات الى الكوت دازور وسان تروين والمطاعم الفخمة.. واحنا يبون يرشونا بقلم بدينار ونصف.. والا «بارسل» كباب بدينار! شفتوا الفرق شكثر صحافتنا رخيصة!

مجانين

تصور ، وهذا التصور لا يمكن أن نطبقه نحن على الصحافة العربية، والاعلام العربى، فلا يمكن ان نسمح لقلة من القراء العرب، أن يقولوا لنا، فى وجوهنا، وعلى صفحات صحفنا بأنهم ملوا منا، وانهم يرفضون عمليات التغرير، والخداع الاعلامي، الذى ننصب حبائله كل يوم، ونحن ندس بين طياته العسل والسم.

كما اننا، لا يمكن ان نسمح، او نرضى، بنشر الاحتجاجات، والمناشدات من القراء، الذين يطالبوننا، بتوخى الدقة، ويصرخون قائلين: سئمنا.. مللنا.. ضجرنا من أخباركم، وتحقيقاتكم، ومقالاتكم.. واعمدتكم.. ولن نبقى ساكتين.. ونحن نشعر بالغضب، تجاه ما نشاهده، ونقرؤه، من حوادث، واخبار، وصور تفتقر الى الحقيقة.

هذه النوعية من القراء، ولله الحمد، لاتوجد فى عالمنا العربى، بل هى مجموعة لا تصلح لهذا العالم العربى، بل لا توجد اصلاً، مجموعة فى هذا العالم العربى، تستطيع قول مثل هذا الكلام.. فليس لها والله الا العصا لمن عصا.. فهذه حكمتنا الخالدة فى العالم العربى.

أما هذا الجنون والمجانين، فلا يوجد سوى فى الولايات المتحدة الامريكية، التى تقوم حاليا، مجـموعة من القراء، بقيادة حملة فى الصحـافة الامريكية، تهـاجم جميع وسـائل الاعـلام قائلين: نحن قراء الجـرائد.. ونحن مـشاهدى التلفـزيون.. ونحن مسـتمـعى الاذاعات.. نقـر ونعترف، ونحـن بكامل قوانا العقليـة، اننا زهقنا مما تقدمونه لنا، واننا نرفض عمليات التغرير، والخداع الاعلامى.

ويقول اصحاب العريضة الامريكان: قررنا الا نسكت من بعد، على طريقتكم فى ايراد، وعرض الاخبـار، والآراء، بكل مايعتريها من سلب، وتهجـم، وتشويه، وانحيـاز.. صحيح اننا لـن نستطيع وحدنا، ان نغـير هذا الوضـع، لكننا نتـصور، اذا اتحـدنا جديرون بهذا التغـيير، لهذا نطلب الى كل قارىء لإعـلاننا هذا، أن يسـاعدنا فى اعادة نشره، فى كل الصـحف، على مستوى امريكا بأسرها.

ألم اقل لكم انهم مجانين امريكا.. وليس عقلاء العالم العربى!



مفسدة

بعض الكتاب، يكتب، وقلمه ينساب على الموسيقى، التى يحب ان يسمعها المسؤول، وبعض الكتاب، يكتب لكى تصبح الامور فى الواقع العملى، ابدع مما هى على صفحات الصحف، بعض الكتاب يطبل، ويبخر، ويزمر، ويصفق لما هو سائد وموجود، وبعض الكتاب لا يرى، ولا يسمع، ولا يتكلم، ولا يكتب، بعض.. وبعض.

ماهو دور الكاتب؟ وما هو المطلوب من الكاتب، وماهو المطلوب من المسؤول؟ ماهى الشعرة الدقيقة التى تفصل بين الكاتب والمسؤول؟ وماهى النقطة التى يلتقى عندما الطرفان، والتى يفترقان فيها ايضا.

المسؤول فى اى منصب، هو سلطة عامة، والسلطة مغرية فى العالم كله، والامثلة كثيرة، والكاتب هو ضمير عصره، وضمير المجتمع، وضمير نفسه، وكما السلطة مفسدة، فالصحافة هى الاخرى مفسدة ايضا، والامثلة كثيرة ايضا.

وعندما يكتب الصحافى على موسيقى عصر المسؤول، فأن المجتمع يصبح فاسداً، والعصر يصبح عصراً فاسداً، والضمير يصبح ضميراً فاسداً.. وهناك تحدث الطفرات من قبل الناس الطفرانين.. لكى يتجاوزوا عصر الفساد.. وعندها يختل التطور الطبيعى للبشرية.. وتحدث المصائب!

شيكات لها ظلال

جدل يدور فى امريكا حول «الهدايا» المقـدمة للصحافيين.. وقد اندلع خلاف حـاد فى محطة «ايه.بى.سى» بعـد ما اذاعت المحطة خطابا لاحد محرريها اخذ عنه اجرا مدفوع الثمن.

وقال صـحافى آخر، انه كان يتلقـى هو وغيره من الصحـفيين الذين يرافـقـون الرئيس الامـريكى فى رحـلاته هدايا.. وان هذه ممارسة شـائعة بين عـدد من الصحـافيين فى الولايات المتـحدة، الذين يتقـبلون تكريما ماليـا من الشركات مـقابل خطاباتهم.. او هدايا من دول اجنبية.

أما فى الصحافة العربية، فقد حسم الموضوع حسما قاطعا منذ فتـرة طويلة، حيث يتنافس الصحـافيون العرب على السـفر الى بعض الدول العربية للحصـول على الهدايا، وابتزاز الدول الغنية منها، وتروى احدى النكات القصة التالية:

ذهب رئيس تحـرير احدى الصـحف العـربية الى دولة غنيـة، وظل ضـيـفا عـلى هذه الدولة لمدة اسـبوعـين، وكانت الجـهـات الاعلامية قد دسمت هذا الصـحافى بشيك له ظلال، وعندما سأله المعنيون فى هذه الدولة لماذا لم تكتب عنا أى مديح؟

رد رئيس تحرير الصـحيفـة عليهم قائلا: هـذا الشيك ياطويل العمر حـتى لا اشتمكم .. أما شيك المدح.. فلم استلمـه بعد.. حتى أمدحكم!

حيرة

قال قـارىء: قرأت مـقالة «عـمود» الكاتب الفـلانى، المعارض لاتجاه حل غـزة اريحا.. ويبدو لى أن كـلامه معـقول.. وحـجـجه مناسبة.

ثم اضاف القارىء قائلا: ولكن قرأت مقالا آخر ، لكاتب العمود العلانى، المؤيد لنفس الحل، وهو الآخر كـلامه منطقي، اما الكاتب «ترتان» فى عمـوده اليومى، فهو الآخـر قد اورد حججا منـطقية معقولة، فى ذكر الخلفيات، والمبررات لذلك الاتفاق.

لكن ـ يضـيف القارىء ـ ما يحـيرنى، بأن الكاتـب «العلانى»، الذى ينتقد المؤيدين لذلك الاتفاق، يسـتهوينى باسلوبه، وكلماته، ومنطقه، بـس الكاتب الفلانى، وهو يستـعرض الاسـباب المؤدية لهذا الاتفاق، والخلفيات التاريخية والسياسية، يجعلنى فى حيرة، ومتذبذباً فى اتخاذ أى قرار أقوم بتأييده..ها.. فما هو رأيك؟

ما .. وما

ما يمنع فى البريد، صار يرسل بالفاكس، ومايمنع فى الاذاعة، صار يسمع بالترانزستر، وما يمنع فى التلفزيون، صار يشاهد عبر الاقمار الصناعية، وما يمنع فى الفيديو، صار يسمع بالاشاعة، وما يمنع فى العلانية، صار يطبق فى السر، وما يمنع بالقوة، صار يمارس بالعنف.

ألم تلاحظوا أن ثوابت المنع والحرية، قد تفاوتت ملامحها، وأصبح الامر يتطلب رؤية جديدة، ليس مابين الممنوع والمسموح، ولكن مابين المتغيرات والحرية، والا اصبح القانون مثل الحذاء الصينى القديم، الذى يعصر أرجل السيدات، حتى لا يجعلها تكبر حينما كان الجمال يقاس بالقدم الصغيرة.. اذ كانت المرأة آنذاك مجرد جارية فى بيت بعلها! أما الآن فإن نسب المقاييس تغيرت فى كل المجالات.. حتى فى مجال المسموح والممنوع!

بريد صحافي

1 ـ الو.. انا انسـان عـاطل ابحث عـن عمـل.. لماذا لا تكتب عن اولئك الجـشعين الذين لايريدون تـشغـيلنا.. هل انت جبـان.. أم تخاف ان يقطعوا عنك الاعلان! لماذا تكتب عن اشياء غير مفهومة!

2 ـ الو.. لماذا يصمت قلمك عن الرسـوم، والضرائب، وزيادة الاسعار، والشقق، والاسـتهلاك، والكهرباء والماء؟ وتكتب لنا عن السياسة الخارجية.. هل تريد ان تهرب من المواضيع الساخنة؟!

3 ـ الو.. لماذا تكتب.. عن السيـاسة الخارجيـة والبوسنة، ولا تكتب عن وضـعـنا وعن حـالتنا يا جـبـان.. يـا.. بس تقـدر على النسوان.. وأشكالهم!

4 ـ الو.. لماذا لاتـكتب عن وضـع المسـلمين في الصــومــال، والبوسنة، وياعلماني.. ياشيوعي..!

5 ـ الو.. لماذا تكتب في السياسة وعوار الرأس؟! لماذا لا تكتب عن الحب، ومسألة كيف تختار الفتاة حبيبها.. أليس ذلك أجمل؟!

6 ـ الو.. لماذا لا تكتب عنا نحن اطفال الحضـانة.. كل يوم نفس «الجبس والجـوس».. مايغيـرون لنا.. ولا تنسـى «البمـبر».. أمي تقول اسعاره زادت!

7 ـ الو.. الو.. الو.. أين الكاتب؟!

ـ لامجـيب.. لقد اصـيب كاتبنا بالذبحـة القلبيـة.. وتوقف عن كتابةالعمود الصحافى!

8 ـ الو.. لماذا توقف الكاتب عن عـموده، لماذا لا يعـود ويكتب عن العـاطلين، والرسـوم، والاسـعـار، والـكهـرباء، والبـوسنة والهرسك، والصومال، والمبعدين من فلسطين، والحب، والبمبر!!



الاقلام المبخرة

مسئـول كبير، اقدره واحـترامه لدماثته وأخـلاقه، وتميزه فى عمله، قال لى ذات مرة ومنذ زمن بعيـد: لماذا لا تشير فى كتاباتك الى الجوانب الايجابية كما يكتب الآخرون؟!

قلت له بصراحـتى المعهودة: اعـتقد بأنك تربأ نفـسك عن مثل هذه الاشـارة.. وهذا المديح.. وربما قرأت كـثيـراً من ذلك المديح.. والذى هو فى الواقع شـتيـمة على ورقـة مدح.. فهل تـصدق هذا الهراء الذى يكتبه بعض حملة الاقلام.. المبخرة.

قال المسئول الذى اقدره واحترمـه: كلا! كلا! لا أقصد مثل هذا المديح الذى تشير اليه.. فأنا لا أؤمن بمثل هذه الكتابات.. ولكن الا يوجد ماهو ايجابى حتى توجه اليه المدح والاشارة؟!

قلت: حتى تكون كلماتى، او مديحى نابعا من القلب، اكتبه ليس تزلفاً.. ولا نفاقاً.. فأرجو ايضـا ان تتقبل ملاحظاتى وانتقاداتى.. وربما اشـتطاطى بحـسن نيـة من جانبـك وبقلب واسـع.. وليس بتـحويلهـا الى سوء نيـة.. فـعند ذاك ستـخرج كلمـات المدح من القلب.. كما وسـتخرج الانتقادات الصـادقة من القلب والى القلب ايضاً.

تشابه البقر

يقول صحافي يختلط بصحافيين من العالم، في مختلف المؤتمرات السياسية التي يحضرها، وهو يروى نادرة نقلاً عن صحافى من دول العالم الثالث، وتقول الحكاية:

كان الوفد الصحافى الذى يرافق الرئيس فى جولاته، قد ذهب الى المحافظة التى سيزورها الرئيس، ليرصد الاحتفالات والانجازات التى سيفتتحها الرئيس، وعندما سأل الصحافى المحافظ الذى يعرفه، والذى قادهم الى مصنع الحليب الذى سيفتتحه الرئيس فى جولته ، حينما شاهد المصنع الفخم، وهو يعرف بأن هذه المحافظة ليست زراعية، وليس فيها كميات كافية من الحليب، سأل المحافظ: ولكن اين الحليب الذى سيعمل عليه المصنع؟

قال المحافظ وهو يبتسم: لقد اجريت الترتيبات اللازمة لجلب الحليب، من المحافظة المجاورة، اثناء وصول الرئيس، الذى سيفتتح المصنع، والذى سيقص الشريط، وستصوره كاميرات التلفزيون والصحافة.

فقال الصحافى: وبعد ذلك ماذا ستفعلون؟!

قال المحافظ: بعد ذلك لايهم، الذى يهم بأن الرئيس سيفتتح مصنع الحليب، وستصوره اجهزة التلفزيون حتى يشاهده الناس .. اما فيما بعد.. فهذا لايهم!

معضلة جديدة

فى لقاء مع صحافيين من عدة دول خليجية، دار الحديث حول محاذير، ومخاطر، ومنغصات العمل الصحافى، قال احدهم:

المسألة ليست فى ان تنتقد الآن، فهذه المرحلة تجاوزناها، فنحن صرنا لاننتقد احدا، او مؤسسة، او اى شىء ما.. ولكن الخطورة اصبحت اكبر..

قلنا جميعاً: فهل اوضحت لنا امثال هذه الخطورة، حتى نتحاشاها نحن ايضا؟!

قال الصحافى مواصلا حديثه: مثلا.. لو انتقدنا سيارة ما لخلل فى مصنعيتها.. او كراج اصحاب نفس مؤسسة السيارات.. فسوف نكتشف فى نفس اليوم، ومن خلال مكالمة شديدة اللهجة ان هذه الوكالة لشخص ما مهم، او له ظهر مهم!! ويجب التوقف عن الكتابة حول هذا الموضوع بتاتاً!

واذا كتبنا عن مؤسسة اغذية، باعت بضاعة انتهت صلاحيتها، لاكتشفنا بأنها لشخص ما مهم.. من خلال مكالمة هاتفية ثانية شديدة اللهجة ايضاً.

ولو كتبنا عن سوء الطرق .. وعن سوء المباني.. وعن.. وعن.. لاكتشفنا بأنها لشخص مهم.. او احد ما.. فماذا نفعل تجاه هذه الامور الجديدة.. المعقدة.. التى لم تمر على عملنا الصحافى من قبل؟! فقد كثر الاشخاص المهمون!!

قال صحافى مشاغب: الافضل ان نعمل دليلاً بالمؤسسات التجارية، ومن هم اصحابها، وعلاقتهم وشركائهم.. وبعد ذلك نكتب عن الذين ليس لهم ظهر.. او شريك مهم!!



عمود كل يوم

تقابل صديقك كل يوم، وليس فى كل يوم جديد، تسأله ماالاخبار.. ما الجديد.. ها.. ألا توجد سوالف جديدة؟!

وطبعا لو كان صديقك من النوع السياسى فسوف تقول له، تعبت رأسنا.. فى كل يوم سياسة!

أو لو كان لا ينفك يتحدث فى الرياضة، فسوف تقول له الا يوجد فى العالم سوى كرة القدم!

أما لو كان من النوع المزوح والضحوك، فسوف تقول له، ألا تعرف الجد فى حياتك.

أما لو كان من النوع الذى لا ينفك يتحدث عن الحب والنساء والعواطف، فسوف تهاجمه قائلا: الدنيا ليست حب كلها.

أما لو ظل يتحدث لك عن الطعام والاكل والشراب، فسوف تقول له: ليس بالخبز وحده يحيا الانسان.

إذن ماذا تطلب من صديقك هذا؟ أنت تطلب منه أن يمتعك وان يحضر لكل مقال مقال، ولكل يوم حديث، وكل حديث يختلف عن الآخر، فأنت تعتقد نفسك شهريار وهو شهرزاد، ويجب عليه ان يسليك فى كل يوم بحكاية، ويا حبذا لو كان يقرأ افكارك، ويقص حكاية توافق مزاجك فى ذاك اليوم.. والا ستقطع رأسه.. هذا اذا كان لديك سياف مثل مسرور! والمصيبة انك تطالبه بكل ذلك.. مقابل مائة فلس!

مقالة البصل

فى بداية الثورة المصرية، عند كان رجال الثورة، لم يقرروا بعد تأميم الصحافة المصرية، ولم تتضح بعد معالم الحقبة الجديدة من توجهات.. كانت الثورة قد فرضت رقيبا على الصحافة المصرية، يراقب، ويشطب، ويمنع، كل ما هو لا يتماشى مع خط الثورة.

وهنا كتبت جريدة المصرى، وهى جريدة الوفد آنذاك، مقالتها الافتتاحية، عن البصل، وفوائد البصل، وكيفية تقطيع البصل، وكيفية تحاشى دموع البصل.. وعندما قرأ الرقيب هذه الافتتاحية، اجازها بعدما لم يجد فيها شيئا، يتعارض مع التعلميات التى كانت لديه، عن الممنوعات، فى تلك الفترة.

وعندما شاهدت ادارة الرقابة المقالة، لم تستطع الا ان ترفع السماعة، وتتصل بهذا الرقيب وتزفه قائلة: ألم تستطع أن تملك من الوعى الكافي، لكى تعرف بأن كاتب الافتتاحية، كان يقول للناس، بأنه لم يعد لديه مجال مسموح للكتابة عنه سوى البصل.. بعدما انعدمت جميع الحريات؟

ولم يستطع الرقيب الا القول: حاضر ياسيدى.. انا آسف.. المرة الجاية مش حنزل أية مقالة عن البصل!

نجـاح

ان اللغط، والحديث المتواتر عما يكتبه اي كاتب، إنما يدل إن دل على شـيء، بأن طبيعة البشر مختلفة، ورؤيتهم للأمور، وتقييمها هو الآخر يتم بـاختلاف، وليس في هذا الكـلام بشـيءجديد . . الا إنه لا يزال محور نقاش.

ويوضـح القـصـاص المشـهور جي.دى موبـاسان هذه العـبارة قائلاً: الواقع ان الجمهور يتكون من مجموعات عديدة تصرخ:

- متعني!
- اضحكني!
- إجعلنى حزيناً.
- إجعلني ارتعش.
- ابكي.
- دعني أفكر.
- نخبة ضئـيلة تناشد الكتاب: اصنعوا شيئـاً جميلاً، بالشكل الذي يكون أفضل لكم، وفقاً لمزاجكم.

الكتاب يحاولون، قد ينجحون أو لا!

إيماء

يقـول ناقـد: لم يعد فـن الايماء بمعناه الحـديث، يعتـمـد على الحركة، او القليل من الاشارة، او القليل من الكلمات، الايماء ينقلنا هنا الى عالم نعرفه، لكنه يقـربنا من شعور لم نعد ندركه، الايماء صار اليـوم بالكلمات على طريقـة بيكت، وبالحركة المعـبرة، على طريقة تجسيم اللوحات، في معـارض الفن التشكيلي.. باختصار صـار كل شيء ممكنا فـي فن الايماء الحـديث.. مـا عـدا ان يقف الممثل امام الجـمهور، بهلوانا، او مهـرجا، والمؤثر في فن الايماء، انه صار غير مثقل بالقواعـد والتصورات الجاهزة، هناك الحركة، وهناك الصمت، هناك الكلمـة، وهناك الخيال، لا يوجد مـتفرج، لا يتفاعل مع هذه المفردات، مجتمعة، او منفردة.

ولكن، كيف يمكنك، ان تجسد الايماء، من خلال الكلمة، هل من خـلال الاختـصـار، الايجاز، الـتكثيف، الـترمـيـز، الكناية، اللف والدوران، حكايات من هنا وهناك، النقـاط، العلامـات، الحروف، البعد عن الموضوع، ان تقف بين الجد والهـزل، عدم الكتابة جهرة، او الاقتناع بأن الايماءة، رغم صـغـرها، هي حركة في الواقع، ولو كانت صغيرة.

قلب الملا

كان الصحافي، يريد ان يبرر مقالته، التى كتبها، فى وجه إنتقادات صديقه، الذى كان يرددها له قائلا: لو اردت ان تكون فى كتاباتك من الناصحين، لا من المتطرفين، لوجب عليك قبل الكتابة، ان تضع فى اعتبارك، كل وجهات النظر الاخرى، وكل انواع القراء، الذين يقرأون ما تكتبه، وهؤلاء القراء انواع، نوع يصطاد فى المياه العكره، ونوع مشفق عليك، ونوع يريد فعلا، معرفة وجهة نظرك، التى كونتها من خلال حياتك وتجربتك.

وواصل هذا الصديق حديثه: سأروى لك حكاية، حدثت لى عندما كنت طفلا، وكنت أدرس القرآن عند المطوع، وكان المطوع او الملا يحفظنا القرآن، وكان يقرأ الآية حتى يصل الى العبارة التى تقول ولا الضالين، ثم يلفظها بلهجته قائلاً: ولا الزالين.. وكان الاطفال يرددون خلفه قائلين، ولا الزالين، والملا يقول لهم: لا تقولوا ولا الزالين.. بل قولوا ولا الزالين.. ويقول الاطفال ولا الزالين.. والملا بعد ان يعجز عن لفظة ولا الضالين يقول لهم قولوا الذى فى قلبى.. انا لااقدر ان الفظ هذه العبارة.

طبعـا كان الملا يريد ان يقول للاطفال، ان يقـولوا ولا الضـالين، التى لا يســتطيع ان يلفظهـا، بدلا من ولا الزالين، ولكن من يقـدر على الوصول الـى قلب الملا، ومعرفـة نيته فى لـفظ ولا الضـالين، بدلا من ولا الزالين.. وهكذا هى كتاباتك التى تجر المتاعب!.

صحافة

عندما قرأت كلمة الامين العام للأمم المتحدة، عن تخصيص يوم في مـايو، يوما عـالميـا لحرية الـصحـافة، وانـتظرت ان تحتـفل الصحافة العـالمية بيوم حريتها، فلم اجد شيـئا يذكر، بل حتى ان كلمة الامين العام، وحرصه فى كلمـته على ان يؤكد بأنه صحافى سابق، تحس بأنها كلمة تحصيل حاصل.. خاليه من الحرارة ومن الصدق.

ولا أدرى، وأنا كلما اتذكـر المقالة الاولى التى كتبـتها عن دور الصحـافة قبل عـشرين عامـاً والتى أرى وجوبهـا آنذاك، وأنا قد غادرت للتـو مقاعد الدراسـة النظرية، والكتب المحشوة بعـبارات يجب، ولا يجب، واقـارن مـا بين مـا تعلمـته من دروس الحـيـاة القاسية.. ازداد ذهولا.. إن كنت أزداد عقلانية، وتواضعاً، ومعرفة بحدود دور الصحافه.

وعادة فى جمـيع المؤشرات البيـانية الاحصائيـة، فإن المؤشر يبتدأ صغيرا، ثم يكبر، ويكبر، ويكبر، الا مؤشر الصحافة، فقد بدأ نظريا كبـيرا، كـبيرا، كـبيـرا، ثم جعلته مطارق الحـياة يصـغر، ويصغـر، ويصغـر، ولا أدرى اين الصواب.. او الخلـل، وأنا اقرأ احدث تقرير عن الصحافة، يظهر الدول التى تتمتع الصحافة فيها بالحرية، وهى بلجيكا، ثم نيوزيلندا، واسـتراليا، والنروبج، حيث

هناك كما يقـول التقرير الحيوية، والتنوع، وعدم وجـود معوقات حكومية.

وعادة ما يكون كثير من الناس، بعـد كثير من التجارب، يبدون جازمين فى آرائهم، حـادين فى رؤيتهم، وقد وصـلت بهم القناعة فى داخلهم، ليخطئوا الناس، ويسبـغوا عليهم النعوت الذاتية، من صح وخطأ، أما أنا، فقد اصبح القلم يرتعش في يدى، ليس خوفا، ولا مـجبنة، ولـكن التأرجح مـا بين الشك واليـقين، والبـحث عن الصواب، والحقيـقة، فلم تعد كثيرا من امـور الحياة هى ابيض او اسود فقط، خصوصا اذا اسـتحضرنا فى ذاكرتنا، بعض المبادىء العامـة للصحافـة، والتى تبتدأ مـن على كل صحافى، ان يتـحمل مسئـولية كتاباته الصحـافيه، حتى غير المـوقع منها، وحتى على الصـحافى حـفظ السر المهنى، وعـدم المزج بين دوره كاعـلامى، ومهـام الشرطة والجيش، وانتـهاء بمسؤوليـة الصحافـيين امام قرائهم، لا ارباب العمل، ولا السلطات السياسية.

لقد اعـتمدت الدراسـة الـسابقة لحرية الصـحافة، فى مـختلف البلدان، على أربعة مقاييس، وهـى مـدى تأثير القواعد، والقرارات الادارية، على فحوى الاخبار، ومدى التأثير السياسـى، والسيطرة الحكومـيه، على المضـمـون، وقابليـة التـأثير الاقـتصـادى على الصحافة، والقمع الذى يتراوح مـا بين الرقابة وقتل الصحافيين.. كما يحدث فى كثير من دول العالم الأخرى.

مَعلِهْش

كدت وأنا أستمع الى شرح، أو نقد ـ فلا فرق ـ الأستاذ علي محمود المدير الاقليمي لمكتب الاسوشيتد برس، حول أصول كتابة العمود الصحافي، أن أصاب بهبوط القلب، وأن أسارع الى كسر قلمي، والتوقف عن الكتابة نهائياً.

يشرح الأستاذ علي محمود قائلاً: عندما ذهبت الى جريدة الواشنطن بوست، فوجئت بأن كاتب العمود في الصحيفة، لديه مكتب خاص، وسكرتارية، وعدد من المساعدين لا يقلون عن الستة أشخاص.

وكان كاتب العمود الصحافي يأتي الى مكتبه، يتصفح، ويقرأ الجرائد المختلفة، حتى الساعة الثانية عشرة، ثم يعقد اجتماعاً تحريرياً مع مساعديه، حيث يطرح عليهم الفكرة التي سيكتب عنها للنقاش، واذا كان أحداً كتب عنها، أو تطرق لها من قبل، فإنه يلغيها، ويبحث عن فكرة أخرى.

ثم بعد أن تتفق مجموعة العمل على الفكرة، يوزع كاتب العمود المسؤوليات على مساعديه، البحث عن معلومات في الأرشيف، أو التأكد من معلومة، أو رقم، أو اسم، وبعد أن تكتمل المعلومات،

يصيـغهـا الكاتب بأسلوبه، ثم يقـرأها على مساعـديه، ويرى ردة فعلهم عليها.. واذا حاز العـمود رضا المساعدين، أرسله الكاتب الى مجـموعـة منتقـاه من اصدقائه، حـتى يبدوا هم أيضـاً رأيهم في المقال.

وقبل أن يواصـل الأستاذ علـي محمود بقية شـرحـه حول كتابة العمود الصـحـافي، ساورني الشك في نفسـي وفي قرائى . . ولكن قلت ياالله. معلهش.. نحن لسـنا فى واشنطن!



أقلام وأقلام

رسام الكاريكاتير المصرى المعروف، بهجت، رسم كاريكاتيراً، يعبر فيه عن رأيه، فى الكتابات الصحافية، والاقلام خير تعبير.

القلم الاول، او الكاتب الأول، فهـو الكاتب ذو القلم، الذى يعمل كالتاكسى الأجرة بعّداد، والذى يكتب حسب الاجرة المدفوعه له.. وحسب المشوار المدفوع ثمنه.

والقلم الثانى، هو القلم البصّام، الذى يكتب ما يؤمر به، ويضع بصمته على مايكتبه، حسب قيمة المبلغ المدفوع.

والقلم الثالث، أو الكاتب الثالث، هو الكاتب الملتوى، الذى يدخل مابين القشرة وبصلتها، حتى يفوز بجزء من غنيمة معركة، استشعر ابعادها، وعرف مجرى الهواء فيها.. فدخل اليها بقلمه الملتوى حتى يفوز بنصيبه.

أما القلم الرابع فهو القلم المنحنى، الذى ينحنى، ويقدم سلام مربع لما يؤمر به، وربما يكون حجم الانحناءة، لأى من يدفع.. حتى لوجبة فى مطعم.. أو تذكرة طيران.

أما القلم الخامس، فهو قلم بصم الاستفتاءات، والقضايا السياسية الكبرى، وحيث يستشعر هذا الكاتب، ما يراد من تنظير

سـيـاسات واحـتـيـالات، وهوب يبصـم بقلمـه، المنّظر لكل هذه الالعبونات.

أمـا القلم السـادس، فـهـو القلم بلونين، كـمـا يكتب بالازرق، يسـتطيع أن يضـغط على الزر الآخر، ويكـتب بلون أحمـر، ومن جهتين يستطيع ان يقبض، وان يرضـى الطرفين بما يكتبه.

اما القلم السـابع، او الكاتب السابع، فلم نعرف مـغزى الرسم، وماذا يقصـد الرسام، فربما يكون هذا القلم، يكتب باربـع جهات، فى نفس الوقت، أو يـلعب بالثـلاث ورقـات، او ربما قلم بأربعـة أرواح، او قلم شـريف لا يقـصف.. حـتى الآن.. من يدرى مـافى ذهن الكاريكاتيرست الخبيث!



حق وحقيق

كان الحضور يتحدثون عن كتّاب التنظير، والتحليل، فى السياسة العربية، والدولية، وهم يصولون، ويجولون، فى الترفيع والتسقيط، وتحليل الابعاد والخلفيات، وفى المداخل والمخارج، وعلى صفحات منمقة بالعبارات والاستهلالات.. وعندما تقرأ كتاباتهم، تعتقد بأنهم صاروا المرجع، والحوزات العلمية، فيما يكتبون، وفيما ينظّرون، وفيما يفتون فيه من قضايا سياسية.. واقتصادية، اقليمية وعالمية.

وفجأة، خرج أحد الحاضرين عن طوره، واشتط به الغيظ، وهو يوجه كلامه لى، كأنى المسؤول الاوحد قائلاً:

يا سيدى الصحافى.. كيف تكتبون عن قضايا وأمور، لم تشاهدوها بأعينكم، ولم تقرأوها، او تدرسوها دراسة مختصة، ولا تعرفون خلفياتها، ووجودها على الواقع، بل ان بعضكم لم تطأ قدمه هذا البلد الذى يكتب عنه..

وواصل حديثه الغاضب قائلا: سأعطيكم مثلا على الكتابة العلمية الجادة، بأحد الباحثين الامريكان، الذى زار هذه المنطقة، وعاش فى أحد بلدانها لمدة عامين، اختلط بالناس، وبالمسؤولين،

وقرأ المراجع المحلية، والعربية، والاجنبيـة، ثم كتب ماكتب، بعدما عاش واختلط، وعرف المكشوف والمستور.

ولكن هذا البـاحث، لم يتـوقف جـهده علـى هذا الامر وحـده، وعـاش على امجـاده، وظل يستـفـرغ ماكـان يكتبـه، بل ظل هذا البـاحث، يقوم بزيارة هذه المنطـقة، فى كل سنة، او سنتين مـرة، يبـدأ من الكويت.. وتنتـهى زيارته باليـمن، حـتى يظل على صلة دائمة بمصادره، وعلى معرفة بكل المســتجدات، وفى الاخير، فإن كل ما يكتبه، او يحلله، يطلق عليه كلمة خبير بحق وحقيق.



هلاميات

كان الكاتب الصحفي، عندما لا يريد ان يتورط فى اتخاذ موقف من قضية ما، فإنه يكتب كلمات عـمومية، مطاطة، لا يستطيع احد ان يستـشف منها شيـئاً، فهى لا تنرفـز احداً، وهى بلا طعم ولا روح، وتلك الكتـــابات لا تريد بالاســـاس ان تضع الاصــبع على الجرح.

ووضع الاصـبع على الجرح فى المصـطلح الصحـافي، هو ان تشير صراحـة، ودون مواربة، الى مكمن الخلل، أى خلل، وتقول للرومـان، بان اهل اسبـرطة افضل منكم، لا ان تقـول هذا الكلام وانت فى مـدينة اسبـرطة، حـيث سيـعـتبـرك الناس فى الأولى مجنوناً، وفى الثانية منافقاً!

ولكن يبدو ان الحـديث فى العموميـات الهلامية، هو الآخـر قد اصبـح من المنرفزات، والمنغـصات، والممنوعـات.. فهل يسـتطيع أحـد، ان يدلـنا، على الكتـابـة، فى شىء مـا، يقع فى خـــانة، بين العموميات، والخصوصيات.. ولا تزعج احداً من الناس؟!

تصفح

عندما تتصفح صفحات الصحف الأمريكية، والاوربية، لا تجد فيها من أخبار عالمية، الا الخبر الذى لا يتجاوز حجمه عمودا، أو عمودين، على أحسن الأحوال.

أما الصفحات الأولى، والأساسية، فهى صفحات لا تضم سوى الأخبار الداخلية والتى تهم عامة الناس، ما كان منها سياسة، أو إقتصاد، أو مجتمع، أو جريمة.

وكان هذا التساؤل، يدور في ذهنى، بين الحين والآخر، وأنا أحاول البحث عن جواب، حتى فاجأنى أحد المطلعين ذات مرة، بالاجابة على سؤالى، بشكل لوذعى، وهو يقول: ... ألا تعرف الجواب، وأنت تعمل في الصحافة دهر. هناك حرية، لا محدودة لك، في تناول الأخبار العالمية، بينما هذه الحرية محدودة في الأمور الداخلية، ألم يدرسونكم في الجامعة، بأن الخبر المهم، هو الخبر الذى يهم أكبر قطاع.

وواصل حديثه قائلاً: إنه مثل حكاية ذلك الوزير العربى، الذى قال معلقاً، على احدى المحطات الفضائية: إن هذه المحطة تدوشنا بصراخها وأخبارها عن بلادنا!!

فرد عليه أحد الحاضرين: لماذا تدوشكم، وهى تغطى أخبار بلدكم بالتفصيل، وأخبرت العالم عما يجرى في بلادكم من أحداث!

فرد ذلك الوزير: لهذا هى تدوشنا!

تشجيع

عادة، فـإن الجمهور يصـفق لحرية وشجاعـة من يقول، ومن يكتب. بل ان هذا الجمهور، عندما يجـد مقالة، او كاتباً، يتوقف عن قول ما يود سماعه، يحرضه، ويحوحوه، كما يتم حوحوة الجراء، حتى يـعود الى نفس النغـمة التى يحـبها الجمهـور.. ويحب ان يستمع اليها، ويحب ان يأكل بعدما تعود على اكل البهارات!

ولكن عادة، فإن هذا الجمهور المصفق، لحرية، وشجاعة القائل، او الكاتب، ينسى، او يتناسى حرية، وشجاعة، من يسمح بالقول، وبالرأي، وبالكتابة، وبالنشـر، ولا يشجعـه، او يشكره، بكلمة، او حتى بايماءة.

نبر.. ينبر

لم أقرأ كتــاباً، لكاتب عربي، أو مطبوعة عربيــة، إلا وكانت تنبر الماضـي، وتستــجلب الماضـي، وتمجد الماضـي، حـتى صار الماضـي العربي القديم، هو مشـــجب الحاضر المريض، بل وصل الدجل الى تمجيـد ماضٍ، كـان فيــه الانسان يشــرب من ماء آسن، ويحـمد المرض الذي يستأصله، ولا يجد الرغيف النظيف، ولا لقمة العيش، ويمسح مخاط أنفه في ملابسه، و..

ولم أقرأ كتــاباً لكاتب عربي، أو مطبوعة عربــية، تنبر لنا طريق المستـقبل، ما هو هذا المستـقبل الذي ينتظرنا، ماذا نحقق فـيه من مشاريع ثقافية للعالم، من مشـــاريع صناعية، من مشاريع علمية، من ... من ... الم أقل لكم،إن التغني في الماضـي أفضـل، والنبر فيه أسـهل، باستجلاب أمثلة، وعـبارات أكل الدهر عليها وشرب. بدلاً من ابتكار عبارات المستقبل.

طرق

بعض الناس، لديهم طريقـة سهلة وعـملية جـداً، للتعـامل مع الامور التى لا يسـتطيعون التأقلم مـعها، أو عادة حـينما يكونون معـارضين لها، أو حينمـا يرفضونهـا، لأنها ضد قـناعاتهم التى كـونوها، ولم يرغبـوا بتغـييـرها بحكم العـادة، أو ربما لأنـهم لا يريدون أن يتعبـوا أدمغتهم، وقناعـاتهم الشـخصية بـالتفاعل مع هذه الآراء والافكار الجديدة التى تصطدمهم.

ويروي لنا مثقف فى معرض حديـثه، عن نادرتين حصلتا معه، الاولى عندما كـان يناقش مع أحد هؤلاء الاشـخاص كـتابات علي شـريعتى، الذى قـام ذلك القارىء بـسداد اذنيـه حتى لا يسـمع اسمه، لأنه يختلف مع آرائه، والنادرة الثانيـة، والتى قام فيها احد الذين قرءوا كتـاب فرج فوده، وسأل احد مـريديه المؤيدين قائلا: هل صـحيـحة هـذه الوقائع التي يرويهـا الكاتب، أم هى مـحض اختـلاق، فرد عليه إنهـا صـحيحـة تاريخيا، ولكن انصـحك بعدم قراءتها.

أمـا النادرة الثالثـة، فـهى التى يقوم بـها بعض القـراء، الذين يقررون عدم شراء الصحف التى لا يتـفقون مع آرائها، ويلقونـها من وجباتهم الثقافية، فكأنهم فى هذه الحالة، يريدون الغاء كل ما يجري فى الـعالم من وجوده فى أذهانـهم، ولكن لا يستطيـعون طبعا الغاءه من الواقع المتغير!!

قشرة الموز

بعض الكتابات العربية، التى تظهـر بشكل أو بآخر فى اكثر من منشورات صـحفـية، تذكرنـى بحكايات كتّاب الاطـفال، الذين لا يزالون يرمزون لشقاوة الاطفال، بحكاية ذلك الطفل الشقي، الذى يرمي بقشرة الموز على الارض، وعندمـا يأتي والده يتزحلق فوق القشرة، ويقع على الارض، وتنكسر رجله.

ورغم كل تلـك المتـغـيـرات التـى مـرت على هـذا الكون، من أشـخـاص، ومن آراء، ومن نظريـات، ومن سـيـاسـات، ومن تكنولوجـيات، ومن سنوات، ومن اخـتراعات، ومـن.. ومن.. فإن حكاية الكتابات التى تزحلق القراء على قشرة صحف من الموز.. لا تزال تبـاع على قراطيس من ورق، لـكن الحمـدلله لا يزال بعض القراء الاذكـياء، يحاولون استـعمال تلك الوريقـات لمسح الزجاج والنوافذ، ووضـع الاطبـاق عليها عند الاكل، أو اسـتعمـالها لطرد الحشرات من أرفف المطابخ!

ضجة

أثارت الصـــورة الفائزة بجـائزة «بولتزر» للصــحافــة، والتى التقطها المصور كيفن كارتر، كثيرا من الضـجة الاعلامية، وقد قيل ان الصورة التقطت دون أى وازع انسانى.

وتمثل الصورة، طفلة سودانية، وقد سـقطت على وجهها فوق الارض، من الجـوع، والمرض، والانهاك، وقـد وقف خلفـها، أحـد النسور ينتظر مـوتها، ولقد تم التركيـز الأعلامى، على ان صورة من هذا النوع، تخالف اخلاقيات المهنة، فهذا المصور، ترصد الفتاة والنســر، الى ان واتته اللحظة المناسـبة، لالتـقاط الصــورة، التى حملته الى عالم الشهرة، دون اى وازع انسانى.

والصورة الاخـرى، التى اثارت اهتمــام العالم، صــورة الطائر (اللوهة) المغطاة بالنفط، والتى اثارت هى الاخرى، اهتــمام العالم اثناء حــرب الخليج، لــتلخص بشــاعــة الحـرب، والدمــار، والذى تخطى الانسـان، ليصل الى هذا الطائر البريء.

وفى عــالم مثل هذا، تتـدفق فـيه المعلـومات، بقـوة وبقســوة، وبأحدث مــا أنتجت التكنولوجيــا، وتعقيدات الحــياة السياســية، أثارت هذه القضية اهتمام الصــحافيين فى العالم، وبشكل خاص،

الصورة الاصطناعية التى تزيف الحقائق، حيث بات ممكناً حتى تصوير واقعة، او شخص فى مكان لم يزره.

والمؤتمرون الاعلاميون، الذين اجتمعوا فى جزر البليار، نصحوا العاملين فى الصحافة بالابتعاد عن الاثارة والغموض، وخلط الاعلام بالاستعراضات، والاعلانات، والرأى الشخصي، ومناورات تشويه التاريخ، او اعادة كتابته، فكلها قضايا تضر بمصداقية واستقلال الصحافى!



الأثير

كم نجحت اذاعة «هنا لندن» فى لم شمل العرب، والالتفاف حول مؤشر مذياعها، للاستماع الى أخبار الواقع العربى، اثناء الحرب الباردة العربية ـ العربية، وهى فى الواقع كانت حرباً شديدة الحرارة.

ولقد كشفت وثائق سرية بريطانية، عن ارشيف الاذاعة البريطانية الشهيرة «هنا لندن»، بأنها كانت تدار من قبل هيئة المخابرات الخارجية البريطانية المعروفه باسم (م ـ 16) لمدة 15 عاماً، وتم استخدامها خلال ازمة السويس.. بالاضافة الى اشراف وزارة الخارجية ولجنة يرأسها وزير الدولة لادارة مثل هذه المحطة.

وكانت المحطه حتى تموه على وضعها، كانت تبث تعليقات معادية لاسرائيل، وتبث القرآن الكريم، الا انها كانت تبث اخباراً منتقاة، ومواد دعائية، بعد موافقة حكومة إيدن عليها.

أما الآن، فأن مجلس الاعلام الخارجى الفرنسى، يحاول التوصل الى تحديد استراتيجيته فى النشاط الاعلامي، وذلك فى محاولة فرنسا للمنافسة الاعلامية، خصوصا وان «اذاعة

فرنسا» لم تستطع مجاراة هيئة الاذاعة البريطانية، او صوت امريكا، كذلك اذاعة مونت كارلو فلم تستطع هى ايضا اختراق الاعلام الامريكى، لذا كثرت الدعوات للتنسيق بين الاذاعتين من خلال مجلس الاعلام الخارجى الفرنسى، الذى يضم رئيس الحكومة وزراء الخارجية والاقتصاد والصناعة والبريد الاتصالات والثقافة والتعاون.

والسؤال الآن: اذا كانت الاذاعات الموجهة هكذا يتم التخطيط لها، فما هى التخطيطات والتوظيفات المعدة للاذاعات المرئية .. المبثوثة من الاقمار الصناعية؟!



أعمدة

يثير كـتاب زوايا الأعمدة، فى الصحـافة الكويتية، قـضية تهم الصحافة، وتهم القـارىء فى نفس الوقت، إذ ان معظم كتاب هذه الزوايا، هم من المتحزبين، لا الصحـافيين، بمعنى ان معظم هؤلاء الكتـاب، دخلوا الصحـافة، من باب الأدلجـة الحزبيـة، لا من باب الصحافة المهنية.

وبمعنى آخـر، إن هؤلاء الكتاب، فـى دخولهم الى الصـحافـة، جاؤوا مـحملـين برؤاهم الحزبيـة، لنمط المجتـمع الذى يريدونه، وبتحديد مسبق ومؤدلج لرؤاهم الصحافية، وبالتالى صار همّهم الاول، هو الدفـاع عن وجـهـة نظر مـحـازبيـهم، والذود عنهـا، والهجـوم على من يخـتلف عنهم.. والحط من افكاره وكتـاباته.. بدءا من حكاية العلمانية.. وانتهاء بالتكفير.. ووصولا الى الهجرة!

بينمـا من المعروف، ان الصـحافى، والكاتب، الذى يكتب لـهذا المجتـمع، ان يبين لقرائه، ولمجتـمعه، اين تقـع نقطة الصواب، فى خـضم هذه التصـارعـات السيـاسـية، والاقـتـصادية، وحـتى الاجتـماعـية.. وهذا لا يعنى، ان لا تكون للصـحافى، وجـهة نظر خـاصـة، تنطلق من دوره فى هذا المجـتـمع.. دور دليل قـومـه، ومجتمعه، لادور فئته، او طائفته، أو محازبيه!

الاسماء المستعارة

لم يعد لاسماء الصحافيين المستعارة وجود، بعد ان سطا عليها القراء، عيني عينك، وصرت عندما تفتح صفحات الجرائد، وما تسمى بصفحات الشعر الشعبي، اذ تفاجىء بكم هائل، من الاسماء المستعارة، يعجز عن ايجاد مثلها جهابذة الصحافيين.

وسوف تجد اسماء، من مثل ابو الزعيم، وأم الزعيم، والبرق الساطع، واللحية الزرقاء، وذوى الفم الاعوج، والقرصان الاحمر، والزعفراني، ووسع لي يا جدع.

واذا فتحت المذياع، على البرامج الجماهيرية، التى تبث على الهواء مباشرة، فسوف تسمع اسماء، تبدأ بأبى محمد، وأم علي، وسوف تنتهى بأم العرندس وأبو اللقلقاني.

وأخيراً امتدت هذه الظاهرة، الى تقديم اذاعة طلبات اسامى مطربى الاغانى هى الاخرى، بأسماء مستعارة، فبدلا من محمد عبده، صارت المذيعة تقدمه باسم ابو عبدالله وبدلا من احمد الجميرى، صار يتم تقديمه باسم ابوخالد، وقريبا سوف نسمع عن المطرب ابو فهد، والمطربة أم حسقيل، وان لناظره قريباً!

الغوغاء

الذى كان يقرأ الصحف والمجلات، والمذكرات، عن مصر ماقبل الثورة، فى هوجـة دعم ثورة يوليو، كان يظن بأن مـصر فى ذاك العهـد، بؤرة من الفساد، والشـياطين، وحتى لم يعـد فيهـا ملاك واحد.

والذى كـان يقـرأ الصحـف والمجلات، والمذكـرات، عن عـراق ماقـبل الثورة، يظن بأن العهـد البائد، كان عـهد جحيم، وخـيانة، وسرقة، وماخور كبير.

والذى كـان يقرأ الصـحف والمجـلات، والمذكـرات، عن العهـد الملكى فى ليـبيـا، يظن بأن ثورة الفاتح من سـبتـمبر، هى المـنقذ للشعب الليبى، من فساد سدوم وعموره..

وبعــد مـرور كل تلك الـسنوات، على عــهـود الانقــلابيين، والانقلابيين المـضادين، وأيضا انقـلاب الانقلابيين، وصــار يقرأ على مهل، المذكرات الصادرة عن رجالات ماقبل انقلابات الثورة.. وصار يشاهد ماصار الانقلابيـون يكررونه.. ونقرأعما حدث فى عهـودهم، صار الانسـان يعانى صـدمة الوعى.. بين مـاقرأه أول مره، وقرأه ثانى مرة.. وماشهده بنفسه فى آخر مرة.

والمشكلة هنا ليست فى «الغوغاء»، وهم الناس البسطاء فى الشوارع، الذين تحركهم كلمة أو خطبة.. أو محاكم.. ولكن المأساة تصبح، عندما تكون الاجهزة الاعلامية من صحافة، وثقافة، ومثقفين، هم الغوغاء! ويصفقون لدى سماعهم أى طبلة!



حيص بيص

يقول احـد العاملين فى القـسم الخارجي، فى احـدى الصحف العـربية: هؤلاء المتـشـدقون فى عـالمنا العـربى، بمقولة الغـزو الثقافى، والهجمة الامبريالية الشرسة، والمؤامرات البروتوكولية، الكواليسـية، والدس الاعلامى الغـربى، والمحطات الفضـائية اللا اخلاقية، لا يعرفون فعلا ما هى حقيقة واقعهم.

وما هى الحقـيقة؟ أتساءل أنا، فـيجيب الصحـافى العامل على اجـهزة التـيكرز، آسف، الآن الاخـبار تجىء رأسـا على شاشـة الكمبيوتر، وبدون المـرور على التيكرز، وتقطيع الورق، وتلصيق الاخبار، يقول الصحافي:

هل تعرف، بأن الاقسـام الخارجية فى الصحـف العربية، تقع فى حيص بيص، يوم السبت والاحد، وهما يوما العطلة فى الدول الغربية، حـيث تقل النشاطات، والاحداث، والتغطيـات الاخبارية، لدى وكـالات الانبـاء الغربيـة، ولا نعـرف مـاذا نعمل، لتـغطيـة الصفـحات الاخبارية السـياسية، فـى صحفنا العربيـة، اذ تنهال علينا فى هذين الـيومين، الاخـبـار الرياضيـة فـقط، يا سيـدى.. روحوا تكلموا.. واكتبوا.. وانتم تعرفون حجمكم الحقيقي، قبل ان

تطنطنوا عن المؤمـرات.. والدسـائس.. وعن الغـزو.. ماتقـوللى.. يغـزونكم على شنهـو؟! ألم يحن ان تطرح السـؤال المهم.. أى أن نعرف قدر انفسنا.. على هذه الساحة العالمية، حتى نصمت!



جرائم الصحافة

من السهولة أن تصدر احكاما قاطعة، خصوصا عندما تكون مؤدلجاً، اقصد عندما تكون يسارياً، أو شيوعياً، أو نازياً، أو رأسمالياً، أو.. أو.. فإن مصطلحاتك وعباراتك، عن حرية الصحافة تكون قد تبرمجت، وأصبحت مؤطرة، وجاهزة للاستعمال الفوري، فالصحافة في خطابك مدجنة، ومسيطر عليها من قبل البرجوازيين، والرجعيين، والامبرياليين، وحرية الصحافة، هي حرية أصحاب رأس المال، بينما الطبقات العاملة مسحوقة، وبالتالي، يجب خلق صحافة الفقراء، ضد صحافة الاغنياء.

ولكن عندما استلمت هذه القوى السلطة، تغيرت العبارات الايديولوجية، والمصطلحات، الى عبارات مؤدلجة حسب المتغيرات، إذ صارت الصحافة، صحافة الشعب، وصحافة الطبقة العاملة المناضلة، ضد الطبقات البرجوازية المدحورة، وصارت الصحافة هي صحافة الانجاز العمالي، والتقدم الاشتراكي، والحلم الشيوعي، ومحاربة الرجعيين المتسللين الى النظام

الاشتـراكى، وقـوى الثـورة المضـادة، وعمـلاء الامـبرياليـة، والذين يريدون ارجاع المجتمع الى الخلف...

وبعـد سقـوط تلك الانظمـة، ظهـرت الآن عـبارات جـديدة، إذ اصبحت الصـحافة الجديدة، هى الصـحافة الحرة، ضد صـحافة الدكتاتورية، التى فرضت اتجـاهاً واحداً، وخنقت الشعب، وقتلت الابداع والحرية، وفـرخت المتسلقين الانتهـازيين، ولم تكن تقول الحقيـقة أبداً.. لكن فعلاً أين الحـقيقة فى كل تلك الحـقب الثلاث.. فى مجتمع واحد؟!

ويمكن تغـييـر أسماء الاتجـاهات السيـاسيـة، التى تنوى ان تتبادل السلطة، وتعيد قراءة الموضوع!



نقد ذاتى

قال لى هذا الناقد للصحف والمجلات العربية، والذى لا يجد مجالا لكى يفش فيه غيظه، سوى هذا العبد لله الفقير من القوة، قائلا: إنك تريد ان تعرف الفرق ما بين الصحف والمجلات العربية، والصحافة الاجنبية.؟

وواصل حديثه: سأعطيك أحدث فرق بينهما، لقد شاهدنا فجأة، فى معظم هذه الصحف والمجلات العربية، صورة بنازير بوتو وزوجها وأولادها فى مقابلة صحافية، تتحدث فيها عن حياتها، وخلافاتها مع امها، وأخيها، وهذا النشر ظهر كأنه نبت شيطاني دون إحم ولا دستور.

قلت: وما هي الغرابة فى هذا الامر؟

قال: إن بنازير بوتو تقع دولتها على الضفة الاخرى من الخليج، وفى مشوار لا يكلف سوى ساعتين من الزمن يمكن الوصول اليها، وهى رئيسة وزراء دولة مهمة، وهى ذات شخصية جذابة، خصوصا عندما ذهبت مع رئيسة وزراء تركيا الى البوسنة، وصورها جميلة تشد الصحافيين والمصورين..

ورغم كل ذلك، لم تفكر صحيفة واحدة، بإرسال احد من مراسليها الى باكستان.. وانتظرت حتى تقوم مجلة اوروبية بعمل هذه المقابلة حتى نقوم بترجمتها حالا، ونشرها.

قلت: أى أرخص؟ ان تترجم بدون حتى دفع حقوق، والا ترسل صحافيا ومصورا، وتدفع تذاكر، وفنادق، ومصاريف.. الم تسمع المثل الذى يقول وشلك بالبحر وأهواله.. ورزق الله على السيف!



كنز

رؤساء التـحرير، أو مدراء التـحرير، أو مـسؤولو الصفـحات الثقافـية، وحتى مسـؤولى صفحات القراء فى الـصحف، يعانون أشد ما يعانون من نوعية من القراء، تـعتقد بأن ما تكتبه هو أبدع من كـتابـات برناردشو، وشكسـبـيـر، وان المتنبي، هو لا شـيء، بالنسبة لكتاباتهم، وابن لعبون لم يسمع بهم ابداً.

ويقال، أن احد رؤساء تحـرير الصحف الصينية، فى بداية هذا القرن، كـتب رسالة لأحـد هؤلاء القراء، بعد ان «هراه» بـالكتابات التى يرسلها، وطبعا تصـوروا تلك الكتابات بالصينى، التى يجب على رئيس التحـرير ان يقرأها، لذا كانت رسالة رئيس الـتحرير، التى أرسلهـا لهذا الكاتب، تصلح هدية لكـل مسؤولى الـصحف.. وتلك النوعية من القراء.

تقول الرسـالة: أخي المتألق كالشمس والقمر..

اليك، خـادمك ينحنى امـام قدمـيك! أطأطىء رأسى، وأسـأل عظمـتكم، ان تمنحـونى بركة القـول والحـياة، مـقـالتكم أنـارت بضـوئها الوضـاح سبل طريقى، أننى لم ار فى حياتى كلها، افكارا رفيعة مثلها، لا فى روحها، ولا فى سخريتها.

ولكننى بخــوف وارتجاف، اعيــد مخطوطكم، لأننــى لو نشرت هذا الكنز الثمين، الــذى ارسلتموه الى، فأن الامــبراطور، سيــأمر بأن يصبح مقاسا للمقــال الممتاز، ولا شيء سوف يسمح بنشره فى المســتقـبل، ما لم يكن فى هذا المســتوى الرفــيع.. المتمــثل فى مقالتكم.

وبما ان المامى بالأدب ضحل، فأننى لن اتمكن حــتى بعد عشرة آلاف سنة، من أن أجــاريكم فى ماكــتبــتمــوه.. فلذلك اعيــد اليكم مقالتكم، بحراسة خدم يحافظون عليها.

عشرة آلاف مرة أطلب منكم الصفح والغفران.

اليك رأسي عند موطيء قدميك، فأنا لست الا غبارا.

خادم خالصكم

رانغ تشى رئيس التحرير



مشكلة ولا حل

«أنا أسمى.. جوزيف شـتراوس.. أنا أريد أدخل اتعلم اسلام.. أنا مواطن مال النمسا.. وصار حق أنا سنتين يتعلم عربى..».

«فى أنا قرأت كثـير عن اسلام، كتب كـثير مال مسـتشرقين.. جرميني.. نمسوى.. فرنسى.. انجليـزى.. أنا يشوف إسلام كثير ممتاز.. قرآن كريم كثير ممتاز.. إسلام يخلى قلب انسان مفتوح.. اسلام يخـلي انسان علاقـة مبـاشر بينه وبين ربه.. مـافى قس.. مافى وسيط.. مافى كنيسة.. فى داخل قلب كل ممتاز.»

«انا يريد يصـير مسلـم.. بس أنا يشوف الحين واحـد إسلام.. واحد يقـول سنى وواحد يقـول شيـعى.. واحد يقـول أصولى.. واحد يقـول سلفى.. واحد يقـول لحيـة حلال.. واحـد يقول ثوب قصـير.. واحد يقول اسـلام يقتل نفر أجنبى.. واحـد يقول لازم تقتل نفر علمانى.. واحد يقول انت لازم ما يفكر.. لازم بس يسمع كلام امير جـماعة.. واحد نفر يقول.. واحد نـفر يقول.. بس أنا ما يدرى شنهو يقول..»

«أنا فى خوف الحين.. أنا فى خـوف من إسلام.. كل فى بمب.. فى ديناميت.. فى سيف.. فى سكين.. فى نفر يقول هذا جهاد.. أنا ما يدرى شنهو يسوى.. أنا يقـول أحسن شـيء فى واحد نفر يقرأ فى كتاب مال اول.. أنا فى مشكل.. أريد أنت يقول شنهو حل!».

المعصومية المسبقة

عندما يحدث نقاش ، وخصوصاً في الامور السياسية ، نصمت ونسمع، ونرى ، الكل يكون في حالة انفعال ، يحاول ان يفند رأى الآخر قبل ينهى جملته ، ليثبت ان مايقوله هو الصواب ، وفى زمن ما كنا ربما اكثر منهم انفعالاً !

وكان السؤال : لماذا لانشترك في حلبة النقاش ؟! وكان الصمت يسود ونقول : وهل فى حوار الطرشان فائدة ؟! هل هناك فائدة عندما ننطلق بداهة فى حديثنا ، او نقاشنا ، بأننا نملك الحقيقة .. كل الحقيقة مسبقا .. والآخرون على خطأ .. أو ليس ذلك هو مصادرة حرية الآخرين .. والاستخفاف بقدراتهم على امتلاك ولو جزء من الحقيقة ؟! اليس بهذه المعصومية المسبقة ، يتشكل الدكتاتور الصغير فى عقل كل واحد منا .. الآخرون لايفقهون شيئا .. ونحن الذين نفهم كل الحقيقة .

ولو كان هذا التصور ، يسود بين إناس فى مستويات واحدة ، لايستطيعون ضر بعضهم بعضا ، لهان الامر ، فلن يؤدى هذا الامر، الا الى التفرقة والابتعاد عن بعض .. ولكن لو كان الامر بين مستويات متفاوتة ، لانتشر النفاق بين المدرس وتلميذه .. والاب واطفاله ، والرئيس والمرءوسين .. وقيل قديماً إن التواضع فضيلة ..

سنوات النار والجنون

الآن.. عندما ننظر الى الخلف نظرة مختلفة، نظرة اكتسبها كل منا بطريقته الخاصة، ولكنها نضجت من خلال تجربة ساخنة، نضجت على مدى ثلاثين عاما، تغضن فيها الوجه، وابيض الفودين، وتعقلن الفكر، مما اعطى نظرة مختلفة لرؤية الأمور، نظرة نضجت على سنوات النار والجنون، التى عصفت بمنطقتنا، وعاصرها كل منا من موقعه وموقفه، والتى انعكست على ذاته، من موقع تلك الرؤية، التى عاصرها.

كانت السياسة العربية، بأقطابها المتربعين على سدة السلطة، والمتطلعين الى التغيير، بمختلف اطرافهم، يتبادلون الرؤية شزرا فى اتجاه واحد، رؤية تنطلق من الغاءالطرف الآخر من الوجود نهائيا، فأنت اما معى او ضدى، وعلى ضوء هذا التصنيف المسبق، فأن كل نأمة، أو كلمة، او اقتراح، او رأي، او مشروع، فأن الرأى الآخر فيه، مبرمج سلفا، على ضوء النموذج، او النمط، الذى شكلته رؤيتى الآحادية الجانب للطرف الآخر، ومن يتذكر ندوات السبعينيات، وكتابات السبعينات، وفكر السبعينيات، يجد ان اسطوانات الحوار، كانت مشروخة من الاصل، بل ان

حوار الطرشان المتناثر، والكلمات المنمقة اصلا، تخفى بين تنميقها، بشاعة الغاء الطرف الآخر، من مشروعية الحياة نهائيا.

إنها رؤية وسمت بميسمها كل رؤانا، ان اى حدث، او مشروع معد من قبل السلطة، فهذا هدفه طمس اعين الجماهير وتخديرها، وجذب النظار الى قضايا ثانوية، واى اقتراح من الطرف خارج مشروعية المشاركة، فهو يريد التحريض، وقلب نظام الحكم، وزعزعة الامن.

لقد دخلت الحياة السياسية العربية، فى كليشيهات مبرمجة مسبقا، من الغاء الطرف الآخر، واحتكار الحقيقة، والمأساة لازالت تكبر، لأنه لا يزال لدى بعض الاطراف السياسية العربية تلك الرؤية، ولم تكتسب معاناة تلك الخبرة القاسية من سنوات الجنون بعد اى خبرة، اى الايمان بعدم الغاء رأى الطرف الآخر المختلفة!



تقنين الورق

ساهم فى نظرية الـغاء الطرف الآخر، والرأى الآخـر فى عالمنا العـربى، عـوامل مـتـعددة، عـلى رأسـهـا سـبب عـام، هو عـدم الاستقرار، على الثوابت الرئيسية لأى مجتمع، اقصد عدم وصول المجـتمـعات العـربية، الى ثوابت مـتـفق عليهـا، فى نظام الحكم، والسيـاسة، والاقتصـاد، حيث ان معظم ما هو مـوجود، فى تلك المجـتمـعات، يندرج تحت بند الامـر الواقع.. كـما ان مـعظم تلك العلاقات، داخل المجتمع العربى، سواء بشكلها الافقي والعمودى، لم تقنن على الورق بعد.

كل طرف، يعتقد، بأن رأيه فى ادارة المجتمع، هو الرأى الذى لا يأتيه الـباطل، اما اطراف المجـتمع الاخـرى، فهى لا تفقـه شيـئا، وكان يغـذى هذه الرؤية المتعـصبـة، الجهل السـياسي، والامى، والفقر، وانصاف الحقائق، وعـدم الوصول الى مسلمات بديهية، وثوابت يتـفق عليهـا المجتـمع، تستند الى شـرعيـة الورق، والى شرعـية التسـاوى، والى شرعـية العقـد الاجتمـاعى، الذى يمنع الاحتقانات بمختلف انماطها.

كان الجميع، او كأن الجميع، كانت تنسدل على أعينهم، غشاوة تعمى البصيرة، حيث كان العصر عصر صراع، ومعسكرات، ورؤى تتداخل فيها مختلف الاطراف السياسية، الخارجية، والاقليمية، والافكار المتضادة، والحروب القارية، والمعتقدات، والايديولجيات، وكل اسلحة الحرب الباردة، ولم يكن خيار اى طرف، الا الاندماج ضمن احد المعسكرين، ليس على مستوى دول، بل حتى على مستوى تنظيمات، او حتى افراد، يجب ان تكون ضمن روح القطيع، ولو اعدنا النظر، وتمعنا فى حقيقة السبعينيات، وتمعنا فى من كان يقف ضد من.. وحككنا الصوان بالصوان، لمعرفة ما حدث، على ضوء ما نعرف الآن، فلا اعتقد ان احد يستطيع ان يقول ماهى الحقيقة.. وكانت ظلال الشك والخوف والرفض آنذاك، تتصارع اسلحتها، من خلال كلمات رموز تلك الحقبة، من مثل عميل، وخائن، ومتساقط، وشيوعي، ومخرب، ويسارى، وبرجوازى.. وارهابى و.. و.



شجرة الحياة الخضراء

إن المتغيرات السريعة، التى تحدث حولنا، المتغيرات التى عصفت بكثير من الثوابت الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والتى كان من يتجرأ عليها، فى حينها، يعتبر من المارقين والمرتدين، يكون منبوذا، يتجول متشردا بجذامه، خارج روح القطيع، فهو مجرد خروف ضال عن قطيعه.. وللأسف، فأن مثل هذه الروح، لا تزال سائدة.. والتهم جاهزة سلفا.

وبين حين وآخر، فى بعض الجلسات، مع اناس ذوى تجربة سياسية طويلة، ولكن عندما تسمع النقاش، تعتقد بأنك تعيش فى عالم آخر، تكتشف أن كل مايحدث امامهم، فى شجرة الحياة الخضراء المتغيرة، لاتهز شعرة من رؤوسهم، او تهدأ من تشنجاتهم، فهم لايزالون على نفس النمط، من الرؤية الرمادية، الآحادية النظرة، وعلى نفس النمط، من عصبية التمسك بالآراء، المنمطة مسبقا، والمحتكرة الحقيقة، يفتتح النقاش بضرورة الديمقراطية، وتنتهى الجلسة، بالغاء كل رأى آخر فى النقاش.. وعلى احسن الاحوال، يصمه بأنه لايفقه شيئا!

وتسأل بينك وبين ذاتك، فعلانية السؤال هنا هرطقة وتجديف،

وهكذا انسان، كـيف يتحجـر فى المنطقة الرمادية، ولا تغـيره أية متـغيرات. لكن حتى نملك حـقيقة الـيقين، وحتى تتمـالك نفسك، تعـود الى قراءة التـاريخ، لتجـد ان مـثل هذه النماذج، قـد تكرر وجـودها فى اكـثـر من مـفـصل تـاريخى.. ابتـداءً من حـقـبـة الديناصورات.. وانتهـاء بنماذج معاصرة، نشـاهدها امام اعيننا، وهـى تنقرض هـى الاخرى، ان لم يكن فجأة، فهو بشكل تدريجى!



النظر بعين الاعتبار

اتذكر. كـتبت ذات مرة فى السـبعينيات، عن ضـرورة وجوب توفر اجراءات السلامة، فى منشأة صناعية كبرى، وكتبت آنذاك، عن ضـرورة الاهتمـام بمطالبات بتـجمـعات مـهنية، واتذكـر ان المسؤول الأول، عن هذا القـطاع، قدم ضدى شكوى، الى الجـهات المختـصة، بتـهمـة الاخلال بالاقـتصاد الـقومى، ولولا منافـحة المرحوم محمود محمود المردى، وتفهم الجهات المختصة، لتحولت القضية الى المحكمة.

واتذكر ايضا، بأن الحكومة فى السبـعينيات قد اصدرت قرارا، بإلزام اصحـاب اللوريات، بضرورة وضع غطاء على سـياراتهم المحملة بالحـجارة والاتربة حـماية للمواطنـين، فاحتج اصـحاب اللوريات، على هذا القـرار، من ضـمن هوجة الاحـتـجاجـات فى السبعينيات، وتجمعـوا بسياراتهم قرب دوار الحكومة، وسارعت الصـحـافة، وانا منهم بتـأييد اصحـاب اللوريات فى احتجـاجهم، رغم معرفتنا بصحة القرار الحكومى.

بعد تلك الفترة الزمنية الطويلة، اصبح بحكم القانون، عدم قيام أية منشـأة صناعيـة، او غيـر صناعـية، الا بتـوفر كل اجـراءات

السلامة المهنية، كما ان الدولة، بأكبر رموزها السياسية، صارت تستقبل ممثلى الجمعيات العمالية والمهنية، بشكل دورى، واصبحت الصحافة الآن، لا تنظر الى اى مشروع، او قرار حكومى، من موقف شك مسبق.. بل تؤيد ماهو صحيح، وتعارض ماهو فيه لبس، وتلك مجرد أمثلة!

زبدة الكلام، لقد كان كل طرف، ينظر بعين واحدة، وبنظرة آحادية الجانب للطرف الآخر، نظرة متشككة ، تمور بكل ما مرت به حقبة السبعينيات، من متغيرات عنيفة وصعبة، لمجتمع ينتقل من حقبة، الى حقبة اخرى.



الشك

كـانت العلاقـات المحتـقنة، بين مـختلف الاطراف الفـاعلة فى المجتـمع، قد عبـر عنها خير تعـبير، قـصة صينيـة قديمة، وربما حكمـة الصين، تكمـن فى ايجـازها التنظيـر الكثـيـر، فى حكمـة موجزة، لها البعد المباشر، والمغزى العميق، تقول الحكاية:

ضاع فـأس احد القرويين، فـشك فى ان يكون ابن الجيـران قد سرقـها، وابتدأ يلاحظه بـدقة، فبـدا له ، ان نغمة صـوت الشاب، وطريقة مشيته، تخـتلفان عن طريقة الانسـان السوى، وفى نهاية الامر، تأكد، ان كل حـركة، وتصرف يقوم بهـا ذلك الشـاب، كانت تدل على انه لص.

فيما بعد، عثر القروي على فأسه الضائعة، حيث نسيها، حينما ذهب لقطـع بعض الأخـشـــاب من الوادى، وفى طريق الـعـودة، وبالقرب من بيت الجيران، وعندمـا شاهد الابن المتهم، تبين له ان نغمة صــوت الشـاب، وطريقة مشـيته، لا تدلان على ان صاحـبها لص.

ولو اعاد كل منا رؤيتـه للآخر، لاكتشـفنا كم كنا مـخطئين، فى روايتنا، وكم هو كم الشك والريبة، التى تكونت لـدينا، لبعدنا عن حقيقة الآخر.

بدون ارادة

التـغيـيـر، حتى ولو كـانت العـبـارة مكررة، هى سّنة الكون، التغيير بالتطور الطبيعى مطلوب، والتـغيير بالطفرة قد يغرى فى بعض الاحـيان، وحـتى التغـيير الى الاسوأ أفـضل احيـانا رغم سوئه، لأنه يكسر حدة الرتابة القاتلة، ويقول احدهم متندرا، حتى الثعبان يغير جلده، رغم الوانه الرائعة.

ولكن ان تظل بعض المجتـمعات العربية راكـدة، لا يتغير فـيها شـيـئا، طوال سـنين عديـدة، فأمـر مـأسـاوى، ولو زرت بعض المجتمعات العربية، لوجدت ان بعض المحـلات التجارية فيها، كما عـهدتهـا من ربع قـرن، نفس البضـاعـة، ونفس الديكور، ونفس الغبار، ونفس البائع.. ونفس.. ونفس.. واحد لا يتغير.

وبعض المجتـمعات الاخرى، تـرى ان التغييـر واجب الحدوث، واجب المثول، وان لم يغـيروه بأنفسـهم، فأن السنين تغـيره رغم ارادتهم، وما أسوأ التغيير الذى يتم من غير ارادتنا!

أمر طبيعي

تصــور كـيف تصــبح نمطيــة النظرة للآخــر ، نظرة تصل الى درجة خـلق صورة مـغايرة للواقع ، تفـرزها الأذهان التى تضع الطرف الثـانى فى صورة مــسـبقــة ، تلغى منه حـتى الصفــات الانسانية .. لماذا ؟!

لأنه ربما يختلف عنه فى الرأى ، او رؤيتــه للأمور ، ولو تمعنا فى كيفية حدوث الخلاف هذا ، فأن نقاط الاتفاق تبدو هى الشاذة ، فكيف نطلب من بشر جـاءوا من نطف مختلفــة ، وشربوا حليب امهات مختلفات ، وتربوا فى بيوت ومستويات اجتماعية مختلفة ، ودرســوا فى مدارس مــختلفــة ، وعاشــروا اصدقــاء مخـتلفين ، ومارســوا مهنا مــختلفــة .. ونتعجب عـندما نراهم مخــتلفين فى آرائهم عنا ، هل زاوية الرؤية التى تـشكلت لديهم ، يجب ان تكون هى نفس زاوية الرؤية التى ننظر منها نحن الى الامور ؟

كانت فترة السبعـينات هى فترة التأطير ، تأطير روح القطيع ، السائد والتى وصلت ذروتها فى الـفكر الواحد ، واللبس الواحد ، والصوت الواحـد ، وكل من ليس منا فأن الســجن والمنفى مأواه ،

إن كنت فى السلطـة .. او المنفى فى غـربة الوطن ، ان كنت خـارج السلطة .

ماذا تعتقد ستكون عليه صورة العلائق مابين الاطراف المختلفة فى المجتمع ؟ وماهى العقلانية السياسية ، والتطور الطبيعى مابين هذه الاطراف ؟ إذن مايحدث هذه الايام يصبح امـرا طبيعيا يمكن تفهمه .



الخيار

احيانا، يفقد بعض المثقـفين المعاصرين، حكمة ما يريدون قوله، بالتنظير الكثيـر، ولا ادرى من اين جاءت كل تلك التنظيرات، رغم ان الايجاز، هـو ابدع مما جادت به القـريحة العربيـة، وبين وقت وآخر، اسـجل تلك الانجازات التراثية، الرائعة فى التعبير البلاغي، والحنكة السيـاسية، التى لا تتطلب كل تلك التـنظيرات، ويفهمـها الانســان البسـيط، بمغزاها المبـاشر، ويعـيهـا الانسان المثـقف، بمراميها البعيدة، ولنقرأ.

لما صـعد الـحجاج المنبر، يشكو سوى طاعة أهل العراق، رد عليه جامـع المحاربى بقـوله: أما أنهم لو أحـبوك لأطاعـوك، على أنهم ماشـنأك لنسبك، ولا لبدل، ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدون منك، الى مايقربهم اليك، وليكن ايقاعك، وعبيدك، ووعيدك، بعد وعدك.

فأثارت تلك الكلمـات غضب الحجاج، فخـاطب جامع المحاربى قائلا: والله ما أرادنى ارد بنى اللكيعةالى طاعتى إلا بالسيف.

فرد جامع المحـاربى: أيها الامير، إن السـيف اذا لاقى السيف، ذهب الخيار.

فقال الحجاج: الخيار يومئذ لله!

فرد المحاربى: اجل ولكنك لا تدرى لمن يجعله!

فغضب الحجاج وقال: والله، لقد هممت أن أخلع لسانك، فأضرب به وجهك.

فرد عليه جامع المحاربى: يا حجاج، إن صدقناك أغضبناك، وان كذبتك، اغضبت الله، فغضب الامير اهون علينا من غضب الله.

اليست تلك المحاورة التراثية الرائعة، أرفع تعبيرا فى التراث، عن فن الحكم، والسياسة، والصحافة!



حمال الاسية

ميزة المثل الشعبى، انه يلتقط بروحه اللماحة، حكمة الدنيا، من خلال تجربته المعاشة، ورؤيته، التى اكتسبها، من شظف الحياة، والناس، والمجتمع، ويطلقها عبارة، قصيرة، موجزة، فى وجه الزمن.

وعندما تقول الحكمة الشعبية «حمال جديد فى الفرضة» يعطى لإندفاعة الجديد، البعد الذى يحمله من زخم التحدى، لكل من يدخل فى تجربة جديدة، فالحمال الجديد، فى الفرضة، يريد اثبات شطارته، ومهارته، وسط عتاولة الحمالين، فهو يهجم على صاحب البضاعة، مبدياً قوته، ويزاحم هذا، ويدافع ذاك، حتى يجد له موقعاً مناسباً.. فى عالم الفرضة، وهى دنياه الصغيرة.. المحدودة التى تشرق عليها الشمس.

وعندما نجيل الطرف، فيما حدث من حولنا، فى دنيانا الكبيرة، ونشاهد حركات سياسية، ومؤسسات ونظم، وأفراد، وشركات، وساسة، ومنظمات، وتجار، وفنانين، وكتاب، ورجال، ونساء، يتدافعون بمناكبهم، وبأسنانهم، وبأظافرهم، فلا تستطيع سوى ان تردد من المثل الشعبي: ما عليك منه.. هذى حمالى جديد فى الفرضة! وبيركد بروحه، اذا ما ركدته الدنيا، بقوانينها الطبيعية!

ظاهرة السخط

فى ظل عـدم التنوع ، وعدم الوضـوح ، وعدم الحـوار ، وعدم المصارحـة ، وعدم المكاشـفة ، وعـدم الرؤية ، وعدم .. فـأن حالة السـخط ، أو ظاهرة العـدم ، والتـذمـر ، هى الظاهـرة التى تخلق بعض الزعـامات .. والقـيـادات .. والتى لاتملك من مؤهل سـوى مؤهل التذمر.

كلما ازداد التذمر ، وازداد السـخط ، كلما كانت احادية النظرة فى الرؤية للأشـخاص هى التى تبلور الرؤى . بمعنـى ان التقييم لك ، ينطلق من مدى تذمرك وسخطك .. لأن هذا هو المجال الوحيد المتروك لك .. لكى تثرثر فـيه .. وتتوسع فيه .. حـتى يصبح حالة مرضية .

ارفع صـوتك .. زد تذمـرك . اشتم او انقـد لافـرق هنا . روج أخبـارا ذات مصـدر سري قال لي .. أو هل سـمعت ذلك الخـبر ؟ فستصـبح فى النهاية زعيماً أو قياديا .. او مـنظراً .. بالضبط كما الطعام الذى تريد اخفـاء عيوبه .. بزيادة البهـارات والفلفل فيه .. فستخـتفى كل عيوب تلك الطبخة .. وسيـبقى طعم الفلفل الحراق يلهب الافواه ! وعندها .. ستكون بؤس الطبخة .. وبؤس الطباخ .. وبؤس الاكل .

المبرمجون

النفس المأزومة هذه الايام ، لا تتركز فى قـضية اختلاف آراء ، بل تتـركز فـى ازمة نمط من انماط التـفكيـر ، بمعنى انه عندمـا تسـتطيع ان تقولب تفكـير إنسـان ما فى نمط وشكل مـعين ، من خلال ثقافة مـقولبة ، تستطيع أن تجعل مثل هـذا الانسان مبرمج سلفاً ، تجـاه أى امر من الأمـور دون عناء ، وبالتالى تسـتطيع ان تتنبىء بردود فـعله مسـبقـاً .. بل تسـتطيع من خلال كلمـة ، او حركة ، ان تدفعه الى اتخاذ رأى، او موقف، او حتى ان تدفعه لكى يقتل، فأنت تعرف ذلك مسبقاً .

هؤلاء المبرمجون سلفاً ، تستطيـع أن تعرفهم حتى من هيئاتهم مهـما تغيرت أزيائهم : انهم يبـحلقون بعيـونهم كالروبوت ، ولو كادت ان تنطـلق من عيونهم الشـرار والسـهـام لأحرقتك ، بـينما أيديهم تهرص بعضـها بعضاً ، حتى تحين الفرصة السانحة ليطبق بهما على عنـق الآخر ، المختلف عنه ، وينطلق مقـاطعاً حديثك إياه فى اى محور نقاش قبل ان تنتـهى من جملتك ، حيث انه قد برمج وجهـة نظره فيك .. ومـهما قلت من جـديد .. فسلفـاً هو ضدك ..

وضد آرائك .. وفى انتظار ان تسنح الفرصة له .. حتى بغلطة لكى تهرص أصـابع يديه عنق الآخر المختلف معـه هؤلاء المبرمـجون سلفاً ، ومهما تغيرت أزيائهم ، تستطيع ان تعرفهم ، فلا يسلم أى شخص ، أو أى مـوقف ، من انتقاداته فى جلساته الخـاصة .. أى بوجود عناصر روبوت أخرى تستقبل ارساله ، يريد تقييم العالم وهو مستخفياً فى جحره ، يتكلم امام الناس فى عموميات ، ويتهم الآخرين فى السـر ، لايظهر على السطح الا كما يظهـر «الشريب» عندما تثبـر المياه ، وتركد الريح .. هؤلاء المبرمـجون سلفاً ، الذين ظلوا فى خانة الشوادى دهراً .. نقول لهم لقد تغيرت البرمجة !



احتكار الحقيقة

دار حوار بين بعض المثقفين المصريين من مختلف المدارس الفكرية ، وهو حوار طريف يتلخص فى الاجابة على السؤال التالى : هل من الافضل ان تأتى الديمقراطية «دفعة واحدة» أم تأتى «بالتدريج» ؟!

ولن اقول ماهى وجهة نظرى ، وماذا افضل ، فليس ذلك مقصدى من هذه الاستهلالة ، ولكن تخيلوا نمط هذا النقاش لو طرح هذا السؤال قبل عقد من الزمان .. فلن نسمع عند ذاك سوى كلمات تتطاير هنا وهناك من مثل .. امبريالى .. شيوعى .. عميل .. خائن .. رجعى .. مارق إقطاعى .. ثم يصل النقاش الى نهايته على الطريقة العربية التقليدية بحسمه بالايدى ، ومن يتذكر كم نقاش على الخارطة العربية لم ينته بتلك الطريقة التقليدية ، منذ ايام الاندلس .. وحتى غزو الكويت .

على العموم ، ماعلينا من كل ذلك ، ونعود الى نقاش المثقفين المصريين لنجد مؤشرات جديدة ، حيث اصبح الكل يتقبل الرأى والرأى الآخر ، ويبرر ، ويقدم الحجج لرأيه ، لكنه لايتمسك

بفرضها عليك ، اما ان تتقبلها بشكل مطلق ، او ان السيف الفكرى مسلط عليك ، اصبح الاختلاف فى هذه الايام نعمة ، وقديما قيل ان اختلاف الفقهاء ، نعمة ، فدعونا نطبقها فى السياسة ، ولاندعى احتكار الحقيقة .



غزية الديمقراطية

من اسهل الامور، ان ننجرف مع الرأى السائد، فنحن فى نهاية الامر، إلا من غـزية، إن غزت فأنت واحـد منها، والغـزية السائدة الآن، هى غـزية الديمقـراطية، ومن يسـتطيع ان يقف، ضـد هذه القضـية، فى مثل هذه الايام؟! فلن تكون عند ذاك سـوى رجعى.. عميل.. وربما تقف ضد الزمن! وهـنا سوف تراهن، بكل رصيدك الكتابى، على صخرة الرأى السائد، وتعالوا نحسبها مع بعض:

1 ـ ليس الامـر، ان اقف مع او ضـد الديمقـراطيـة، فليس هذا الامر هو مجال المناقشة، إذ أن القضية محسومة سلفا، فالكل هذه الايام مع الديمقراطية.

2 ـ اليس هؤلاء المتشدقين الآن، لكلمـة الديمقراطية، كانو ذات مرة من الزمن، من اشد انصـار الحزب الواحد.. والحكم الواحد.. والرأى الواحـد.. والذى سـوف يسـحل، ويسـحق، وينفى الرأى الآخر، متى وصل الى السلطة؟

3 ـ اليس فى فـتـرة مـن الفـتـرات، كـانت الاحـزاب هى ام المصـائب؟ والديمقراطيـة لعـبة البـرجوازية؟ والبـرلمان، ساحـة مناورة، لدكها من الداخل؟

4 ـ اليس الفساد، كـان سمة الاحزاب، والعصـور البرلمانية؟ وجـاءت الانقلابات، والثـورات الشـعـبـية آنذاك، لتكون المنقـذة، ولتصبح فيما بعد هى المتـسلطة، على رقاب العباد.. ولتكرر قصة الفساد.. والدكتاتورية بزى آخر؟

5 ـ لنعد الى الارشيف، ولنر كم من حـبر سكبت المحابر ضد الديمقراطية، من قبل المطالبين الآن بالديمقراطية.

لذا يجب علـى الكاتب، ان يقف احـيـانا، ضـد الرأى السـائد، ويقول.. توقـفوا قليلا، حتى لا تنجـرفوا وراء روح القطيع، الذى ربما يقود الى الهـاوية احيانا!! ودعونا لا نقفـز الى النتائج، دون المرور فى المقدمات.



تغيير اليافطة

عندما يقول جلال الدين الرومي، ذلك الصوفي الرائع، قبل عشرات السنين، تتغير أشكال القوارير، والخمرة واحدة، لم يتجاوز الصواب، ونحن نرى بعض اليافطات السياسية تتغير، وليس لدينا اعتراض على هذه المتغيرات، ولكن الذى لا يصح هو تغيير القارورة السياسية، وابقاء المحتوى السياسى القديم نفسه!

الحزب الاشتراكى، او الشيوعى، او اليسارى، او القومى، او البعثى، او الدينى يدرس تغيير اسمه، بما يتفق مع المهام، التى يضطلع بها فى المرحلة الحالية، وبرنامجه السياسى الجديد، الداعى الى التحديث، والعصرنة، والعلمنة، والدمقرطة..

ولكن كيف يمكن للخمرة القديمة، كما قال جلال الدين الرومي، ان تصبح خمرة جديدة، مصفاة بتغيير القارورة فقط.

الشرب الجديد، يراد له قارورة جديدة، أم اذا قدم لنا نفس الشراب القديم، فى قارورة جديدة، فهذا يسمي.. الالتفاف حول شكل القارورة.. وسوف يكتشف الناس، بأن الشراب القديم هو نفسه.. لم يتغير.. بل تغيرت القارورة فقط.

الشرايب

مرة قـال أحد الحكمـاء: ما أسـهل ان تلقى بنفسك الى التـهلكة، ولكن مـاأصعب ان تحب الحـياة، وتحاول التـشبث بهـا، رغم كل الاخطار المحدقة بك.

وكـذلك مـا أسـهل ان تقـول كلمـتك وتمشى، أو تلعن الحـيـاة وتعتكف فى دارك، وما أصعب أن تعيش فى خضم الحياة القاسية لتمارس دورك رغم كل المخاطر.

وكذلك ما أسهل ان تكتب كلمـتك الاولى والاخيرة وان تصمت، وما أصعب أن تظل فى قلب العاصفة وتقول اجزاء من كلمتك، رغم الهزوء احـياناً، ورغم السخـرية أحيـاناً أخرى، ورغم الصفـعات، والغمزات، والنغزات أحيانا ثالثة.

المهم ان تظل فى وسط الحياة، وسط الحـديث، وسط العاصفة، لا أن تصبح «شريب» تختفى عند ارتـفاع المد، وتظهر عند انحسار ميـاه الثبر.. وتضرب بكلاليـبك الصدفيه، صـدرك الاجوف الذى يخلو من أكدار المد.

الناقة والبعير

فى تلك الايام الخـوالى، حينمـا وصل الصراع السيـاسى على السلطة ذروته، من خلال الصراع المسلح، ما بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ومعـاوية بن ابى سفيـان، ارسل علي بن ابى طالب، رسائـل، ودعاة، الى جـيش معـاوية، يحرضـهم بكلمات العـدالة، والحق، ونصرة المظلوم.. لكـى يقفوا الى جانب جـيشه.. ويتـركوا جيش الظالم.

وعندما علم معاوية بالأمر، ارسل الى علي بن ابى طالب، رسالة قصـيرة، يقول له فيـها، بما معناه: لقـد ارسلت لمقاتلتك 100 الف جندى، لا يفرق الواحد فيهم، ما بين الناقـة والبعير.. فوفر كلماتك عن العدالة.. والحق.. فإنها لا تنفع مع الجهل!

لذا، كانت مـعظم الجيوش، التى تقاتـل، تتطلب ان يكون عنصر الجـهل، اسـاسى فى جـيوشـهـا، ويروى لنا احـد الذين درسـوا الجندية، فى احـد البلدان العربيـة، كيف ان الضابـط المسؤول عن التدريب، يجعلهم يقـومون بمحاولة زحزحة المبانى من مـواقعها، وان يقـيـسـوا ملاعب التـدريب بالابـرة، او ينزحوا مـاء البـحـر بالمشخال.

وكانـت العمليـة، تهدف بالأسـاس، الى افراغ عـقل، من بقى له عقل، من مـحـتواه.. وملأه بمحتوى الاوامر فـقط.. حتى ولو كانت اوامـر جنونية.. والا من يتـصـور، أن يقوم أى عـاقل، باطلاق كل زخات الرصاص، لتغـتال شـخص ما، يعارض توجه مجـموعة ما.. الا بوجود مـثل تلك العناصـر، التى لاتفرق بين الناقـة والبعـير.. وتنزح مياه البحر بالمشـخال.. وتؤمن بمبدأ نفذ ثم ناقش!



حتى لا يصبح المدى سراب؟!

وتعلمنا دروس التاريخ، كثيرا من العبر، وفى الصراعات البشرية، النابعة من جذور سياسية، او جيوبولتيكية او اقتصادية، او اجتماعية، أو دينية، او ثقافية، وأحيانا حتى مزاجية، فمن ينكر دور مزاج الحكام فى التاريخ!

إن نظرة متأنية، الى المعارك، والصراعات، والمذابح التاريخية، تثبت لنا على مساحة العين البشرية، ان كل تلك الاساليب القسرية، قد تصبح ناجحة فقط، فى تغيير الأوضاع القائمة، والى زمن قصير نسبيا فى عمر الشعوب، ولكن تظل جذوة الكراهية، والبغض كامنة فى النفوس، وفى القلوب، وفى السياق التاريخى نفسه، مهما تزيأ، وتقنع بأزياء أخرى.

ان المؤشرات الزمنية، فى العصر الراهن، وما أفرزته من تجارب، فى الحرب العالمية الأولى، والثانية، وحرب الإقتتال الأهلية، وأحيانا حتى فى الثورات الشعبية، والانقلابات، والمؤمرات، تثبت الحاجة الى فضيلة الايمان بحرية تبادل الأفكار، والحوار، ضمن قواعد معينة، ترتضيها مختلف الاطراف، عن وعى وقناعة، بأنها السبيل الأمثل الى التطور والنمو، والسير بسفينة

الحياة المشتركة، الى الأمن، والأمان، والاستقرار.. ولن يرضى أحد من المجتمع الدولى المعاصر، بأن يقوم طرف منه، بأن يغير ما استقر عليه الوضع، بمرسوم، او بقانون، او حتى بالقوة.

إن المسار التاريخي، وفى لحظات معينة، من الزمن البشري، تفرض فيه الوقائع الموضوعية والذاتية، أن يرتضى الجميع لغة الحوار، ولغة التقاء الافكار، وتداخلها، بدلا من لغة الصدام، والتطاحن، والخراب.. وإلا ما هى حكمة القيادات السياسية، وتناغمها من حقائق عصرها؟!

إن هذه اللحظة، تسمى بالفرصة التاريخية التى لا تتكرر، تلك الفرصة، التى لا يمكن إقتناصها، لا قبل هذه الفترة ولا بعدها، لأن الامر يتطلب من أصحاب المسؤولية التاريخية، أن يعوا الزمن الذى يعيشونه، الزمن الذى لا يمكن أن يكرر نفسه، والزمن الذى لا يمكن أن يرجع للوراء.

ان الامر الجوهرى، المطلوب فى هذه اللحظة، التى لايمكن أن تتعرض، هو التضحية من مختلف الاطراف، والجرأة، والنظرة البعيدة المدى، التى تستوعب مختلف التيارات، والإتجاهات البشرية.

وان الشكل الواقعى، فى هذه اللحظات ان لم نقل الشكل الأمثل، بحكم التوازنات الاقليمية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، هو الشكل الذى ترتضيه مختلف الاطراف، برضاها واتفاقها، رغم النواقص، التى ستواكبه فى البداية، ورغم التضحيات الفئوية، من الاطراف التى تكون هذا المجتمع الإنسانى.

لقد اثبتت مختلف التجارب الانسانية، فى ادارة شؤون المجتمع، بأن الحوار، هو الاسلوب الصحيح لتنمية المجتمع البشرى، بمختلف فئاته، ولكن السؤال الأهم: من يقدر على اقتناص الفرصة التاريخية، قبل ان تنساب من الأيادى، إنسياب ذرات الرمل، من بين اصابع الزمن، ويصبح الحوار سراب؟



جيكل ومستر هايد

سؤال مقلق حقاً ، هل يمكن للإنسان ان يحاكم ذاته ؟! أقصد هل يمكن للإنسـان ان يحاكم جزء مـن ذاته .. انفصل عنه هو لاحـقاً ، هل سـيكون مصـيباً فى الحـاضر ؟ ام مـخطئـاً في الماضى ؟! ام بالعكس ، اي مصيباً فى الماضى ، مخطئاً فى الحاضر ؟!

انه سؤال ليس محيراً كثيراً ، اذا جسدناه بوقائع ملموسة :

ـ اذا كان انـسان مـا «يمينياً» او مـحافظاً فى فـترة زمنيـة من حياته .. ثم اصـبح «ثورياً» او يسارياً فى فترة لاحقـة من عمره ؟ فأى تلك الحقب هي الصح .. أو الخطأ؟!

ـ اذا كان الانسان مرتشياً فى مـاضيه .. ثم اصبح شريفاً !؟ أو كان شريفاً ثم اصبح مرتشيـاً ؟! أو كان شريفاً ثم اصبح سارقاً ؟! وكان سـارقاً ثم قرر ان يكون شـريفاً بعد «الأرنب» الاول .. كـما تقول الافلام .. من هو المصيب ، ومن هو المخطىء؟

من يحـاكم من ؟! ومن هو المحق .. الحـاضـر ام الماضى ؟! ام الحاضر .. أو المسـتقبل ؟ من ضد من ؟! ومن يسـتطيع ان يقاضي ويقضى ؟! او من يستطيع اصدار الاحكام وهو مـرتاح الضمير .. خالياً من الخطايا !

د مخرطوها

كلما أقرأ عن «العلمانية» العربية، قدحاً وهجوماً، وتحميلها بما لا طاقة لها به، تذكرت حكاية احمد لطفى السيد وقضية الديمقراطية، التى صارت دليلا على السذاجة والغفلة الانتخابية.

وحكاية احمد لطفى السيد وهو المفكر المصرى المعروف، الذى قرر أن يخوض الانتخابات البرلمانية المصرية، فى عهد الملكية تحت شعار الديمقراطية، وابتدأ حملته البرلمانية فى منطقته الانتخابية والتى تقع فى الارياف المصرية.. وما ادراك ما كانت الارياف المصرية آنذاك.

وكان احمد لطفى السيد، الافندى المثقف، الذى يعيش فى بندر مصر، القاهرة أم الدنيا، يتكلم عن الديمقراطية، وحقوق الانسان، وبلغة ولهجة بتوع «مصر»، وليست «بتوع» الأرياف.

وكان منافسه الانتخابى، من نفس المنطقة، يعرف كيف يفكر الفلاحون، وما هو مستوى تفكيرهم، فقال لهم قبل ان يأتى أحمد لطفى السيد، من القاهرة، ويشرح لهم برنامجه الانتخابى : أحمد لطفى السيد ده ديمقراطى، إنتو عارفين ايه ديمقراطى؟ ده عاوز يخلى الستات، يختلطوا بالرجالة، والراجل يتجوز إخته، ده راجل

مفسد، واذا كـنتوا مش مصدقينى إنه ديمقراطى، اسـألوه بنفسه، وهو سيقولكم!

وعندما جاء أحمد لطفى السيد، الى منطقـته الريفية الانتخابية، لم يكذب الفلاحين الخـبر، إذ سألوه مـباشرة: هو انت صـحيح يا استاذ، انك زى ما بيقولوا راجل ديمقراطى؟!

وطبعا الاستاذ احمد لطفى السيد، قد انتفخت اوداجه فخرا، ولم يعرف ان هناك فرقـاً كبيراً، بين مفهـوم الديمقراطية، الذى ينادى هو به، ومـفهوم الديمقـراطية فى اذهان الفـلاحين، الذى دس فى عقولـهم، من منافسه الانتخـابى الخبيث، لذا قال لهم أحـمد لطفى السيد، وهو يعدل طربوشـه: طبعا.. أنا ديمقراطى!!

وقبل ان يشـرح برنامجه، انفض عنه الفـلاحون، وسقط سقوطاً شنيعا فى الانتخابات البرلمانية، وفاز منافسه الخبيث!



الصافى واليريور.. والبلطى!

لو أجريت مسابقة حول افضل الاسماك مذاقاً ، لصاح بعض اهالى البحرين ، الصافى ، ولقال جزء آخر الهامور ، ولقال البعض الثالث الشعرى.

ولو اجريت نفس هذه المسابقة لصاح أهل الكويت ، وهل هناك افضل من الزبيدى؟ ولقال أهل الامارات سمكة ام الدم ، وقال اهل عمان اليريور ..

أما الهنود فسيقولون سمكة الجم ، واللبنانيون يعتقدون بأن السلطان ابراهيم هو الافضل، والمصريون يصرون على ان البلطى هو الاحسن .

فى بيروت سعر كيلو السلطان ابراهيم مائة دولار ، وفى البحرين قد يصل سعره الى دولار ، فى البحرين يصل سعر الصافى الى 3 دنانير ، وفى الاسكندرية يباع بملاليم ، فى الامارات ، يرمون سمكة الجم عندما يصطادونها ، وفى الهند تباع بالروبيات.

لماذا ؟! البعض يقول بأن انصار سمكة الصافى خونة مارقين ، بينما يصر أصحاب الهامور على ان جماعة السلطان ابراهيم

عملاء الامبريالية ، ومرتزقة ومن اصحاب العهود البائدة القديمة ، لكن جماعة البلطـى يعتقدون ان جماعة الجم مـتخلفون من العالم الثـالث المتخلف، ولايزالون يؤمنـون بديكتاتورية البـروليتـارية . طبعاً لاتكفى هذه المسـاحة المتواضعة على الاستـرسال فى عرض اتهامات كل طرف للآخر ، وكل مـايمكننا قوله ان لكل بحر سمكه ، ولكل سمكه متذوقوهـا ، هكذا بكل بساطة ، وسنحلف بأنها ليست مؤامرة ضد الامة العربية.



كلما

كلما أحضر نقاشا فى ندوة، مهما كان موضوعها، وكلما احضر حلقة تبادل آراء، مهما كان موضوعها، وكلما اشهد حوارا بين اثنين، مهما كان موضوعه، وكلما راقبت مرؤوساً ينظر الى ما يقوله رئيسه، وكلما تابعت أبا يصدر تعليماته الى أطفاله، وكلما، وكلما، أجلت عيونى فى هذا الواقع العربى، من الرأى، والرأى الآخر، ورأيت طريقة هذا الحوار، ان كان هناك حوار، لوجدت ان من ابسط واجبات وزراء التربية والتعليم العرب، ان يسارعوا الى إدخال منهج الحوار فى مدارسهم، منذ صفوف الحضانة ان أمكن، وصولا الى الجامعات، واعادة تأهيل من تخرجوا من هذه المدارس بصفوف مسائية، والا تحولت ساحات المدن العربية الى مقاصب، ومسالخ، ومجازر، تحت مسميات تبتدىء بالخيانة، والعمالة، والوطنية، والانفصال، والوحدة، والتكفير، والتأسلم و.. واذا أردت الحجة، فالمثل العربى يقول بأنها عنزة ولو طارت!

سؤال

سـؤال، سوف نخـتلف كلنا حـول إجابـته، لأن العـالم والناس مـختلفـون حولـه، بل ويتقـاتلون عليـه، والسؤال يقـول: هل من الافضل، أن تظل دولة، مثل يوغسلافيا، تحت يد حديدية، ظلت فيه كل الاجناس مقـهورة طوال سنين عـديدة، فى احلامهـا القومـية، والدينيـة، والاثينيـة، أم تعطى لهـا الحريـة، لكى تتقـاتل، وتقـتل بعضـها بعضـا، للوصول الى حريتها.

بمعنى آخر، أو كـما طرحـه بعض علمائنا الافاضـل فى التاريخ الاسلامى، حـينما قالوا هل الافضل وجـود سلطان ظالم.. أم فتنة تدوم؟

بمعنى ثالث، قـد يجـيب البـعض، لـو أننا اعطينا الفـرصـة من البداية، لأولئك البـشر الفرصـة لما حدث لهؤلاء مـاحدث.. أو ربما قالوا، لولا السلطان الظالم، لما حدثت الفتنة.

أو بمعنى رابع.. لقال من قـال ماقال! لكنه سؤال مـهم، وسوف نختلف كلنا حول اجابته! على مدار العصور!

الاستقطاب

كمـا فى السـياسة، كـما فى الادب، كـما فى المـسرح، كمـا فى الموسيقـى، كما فى التعصب، كـما فى كل ما فى كون المجـتمع من أشيـاء سيـئة، تبـرز هذه القـضيـة على السطح، فى حالة ثنائـية الاستقطاب.

الدكتاتوريون، كانوا يترعرعـون، فى ظل الاستقطاب السياسى الدولى، يحصلـون على الدعم من خلال ذلك التناقض، والشـعراء المزيفون، كانوا يترعرعون من خلال الاستقطاب الادبى السياسي، والانتهـازيون، كانوا يترعرعـون، من خلال استقطاب الأكـثرية، والمرتزقة، كانوا يترعرعون، من خلال استقطاب الولاء.

لذا، كـانت العملة الرديئـة، تطرد العملة الجـيدة، وكـانت الكتلة الصامتة، ترى من خلال تلك الاستـقطابات، كيف يبرز أشـخاص لا مبرر لـوجودهم، سوى حومـة الاستقطاب.. وعندما تخـتفى تلك الظاهرة.. ظاهرة اى استقطاب.. تبرز العملة الجيدة!!

أزمنه

فى كثير من الحكم الشعبيـة، مدلولات عامة، تستخلص تجارب الحياة، فعندما يقول المثل الشعبى، انك تريد ان تأخذ زمنك، وزمن غيرك، فـهو محق فى هذا القول، لانك فى زحمـة اقتناص الأوقات الاخرى، تنسى نفسك، وتنسى سنك، وتنسى زمنك.

كل شيء فى هذا الوجـود له زمنه واوقـاته، الشجـرة تبتـدىء ببذرة، ثم نجيلة، ثم شجيرة، ثم شـجرة تثمر، ثم جذع خاو يصلح للحطب، وهذه هى دورة الحياه الطبيعيـة، الا الانسان فهو أحيانا، وقـد بلغ من العـمـر أرذله، يريد ان يكون فى قـدرة شـاب، وهذه العجوز المتبرجة تلبس فى عمر فتاة..

وهذه الحكمـة الشـعـبـيـة، تنطبـق ايضـا حـتى على الانظمـة السياسية، التى تريد ان تظل على ما هى عليه، لا تسمح للجديد ان يظهر، حـتى يثور عليها هذا الجـديد.. لأن هذه الأنظمة السيـاسية على قدمها، لا تريد ان تسمح للجـديد الذى يختلف عنها بالظهور، وتريد ان تأخذ زمنها وزمن غيرها!

هذرلوجيا

إن المتغيرات الميكانيزيمية، فى المفـذلكات التاريخية، والمنحنيات العربية المعصرنة، تدعونا لفحص المحركات الايدلوجية الحداثوية، للوصـول الى النظرية التفـكيكية، فى الوجـوب العربى الأزمـوى، وللإنطلاق منهـا، الى مفككات، ومعـطيات، متـغيرات الـتنظموى الدولى المتجدد.

ومن خلال المعطيات الايدلوجية، ذات المنقطع النظير، فى البؤرة الماضـوية التـراثوية، فـإن الانقطاع السلطوى، مـا بين الماضـوى والحـداثوى، فسـوف يؤدى ذلك بالمثـقف السطحوى، الى اغـلاق بصيرته، في التنظيرى الصـورى ـ نسبة الى صورته ـ والرجوع الى رماديات الحـفظ الكتبوى، ومن خـلال تلك العلاقة الجـدولية، التى تنظـر الى الواقع الفـئـوى، المتـركـز فى تلافـيف الدمـاغ الرجعوى، ممـا سوف يعطى خلطة هريسة حلوة، مخلوطـة بباجة دسـمة، مع قليـل من محـمـر صافي، على مـجـبوس، والحـلاوة عصيدة، مطعمة بالرانكينة..

هل فهـتم شيـئا.. طبـعا ومن المؤكـد لا.. ولا أنا ايضا!! ومـحد يسألنى عن أى شيء!!

حوار

دكتور 1 متسائلا: ألم تكن رؤية الكاتب ماضوية؟

دكتور 2 معلقا: ان الماضوية لم تكن ابدا هى رؤية الكاتب..

دكتور 3 مجيبا : ان الكاتب ينطلق من ثنائية الماضوعصرية...

دكتور 4 مقاطعا: كلا! إنى اختلف معكما من حيث الحداثوية المضادة للماضوية..

دكتور 5 مضيفا: ولكن هذا الكاتب من انصار الرؤية البنيويوية، وهى تتجاوز الحداثوية..

دكتور 6 معترضا: انتم جميعا تهيمون فى حقولكم النقدية، ان الكاتب هو بالاساس يؤمن بالتفكيكية.

دكتور 7 شارحا: ان الانطلاق من الماضوية، مرورا بالماضوعصرية، وتجاوز الحداثوية للماضوية، والبنيويوية التى تواصف الحداثوية، سوف تدفعنا للوصول الى التفكيكية.

دكتور 8 موافقا: اعتقد بأننا ايها الدكاترة النقاد لسنا مختلفين، فى أننا نكمل حلقة النقد من اجل تثقيف الشعب... يجب علينا تجذير النقد العربى من خلال تلك المحاور الماضوية.. العصرية.. الحداثوية.. البنيويوية.. التفكيكية.

قارىء غبى: ولكن ما الذى كان يقوله ذلك الكاتب الطلسم! أنا لم أعرف بعد!

الحكيم الحائر

من الامثلة المعاصرة، عن العلاقة مابين الحاكم والكاتب، ورؤية كل منهما للآخر، قضية توفيق الحكيم، والرئيس جمال عبد الناصر.. وكتبة تقارير السوء!

وحينما كتب توفيق الحكيم، مسرحية السلطان الحائر.. انتهز كتبة التقارير الفرصة، ودسوا الحديث المنمق، عن الكاتب توفيق الحكيم، الذى يقصد بالسلطان الحائر.. عبدالناصر الحاكم.. وكانت المسرحية تناقش قضية الحاكم والديمقراطية!

وطبعا، عندما وصلت هذه الواقعة الى توفيق الحكيم، ارتعد خوفا، فهو فرد لايملك سوى قلمه، وحروفه، فماذا يفعل ازاء سلطة الاجهزة والدولة.. فاتصل بالصحافى محمد حسنين هيكل، وابدى له مخاوفه، وظنونه، وشكوكه، وخوفه، مما سوف يحدث له.

ورغم طمأنة السيد هيكل له، فأن الحكيم ظل غارقا فى خوفه، وقلقه، وكتبة التقارير يلاحقونه بالاتهام المسلط على رأسه، بأنه يقصد عبدالناصر بالسلطان الحائر، بينما هو يصرح فى كل مكان، بأنه لايقصد عبدالناصر.

وفى النهاية، طلب عبدالناصر، نص المسرحية، وقرأها، ولم يترك المسرحية لأحد، حتى لا يقدم له تفسيرا خاطئا.. ويقال بأنه عندما قرأ الرئيس المسرحية، وبعد أن انتهى من قراءتها، ضحك كثيرا من التفسيرات، التى رفعها أصحاب تقارير السوء!



الدون الهادىء

يذكر كثير من الرفاق، بأن جهداً كبيرا من تنظيراتهم الحزبية، كانت تندد بهؤلاء المنشقين، على الاتحاد السوفيتى العظيم، الذى تم طردهم من قلعة الاشتراكية، الى ما خور الامبريالية.

وغدا ساخاروف، وباسترناك، والكسندر سولجستين، رموزا لهؤلاء المنشقين، الذين استغلتهم الامبريالية الرأسمالية، لتحارب وطن الاشتراكية.

ومن البديهي، أن كلا من الطرفين، صار يشحذ اسلحته المختلفة، بما فيها أسماء هؤلاء الكتاب، كوقود فى معركة الحرب الباردة، بين معسكرين مدججين بكل الاسلحة العقائدية.

وها هو سولجنيستين يعود الى روسيا.. بعد عشرين عاما، من طرده من الاتحاد السوفيتي.. ولكنه يعود الى بلد آخر.. وليكرس نقطة حيوية مهمة، بأن الحقيقة ليست خالدة، بل ربما يصبح ماهو حقيقة فى زمن ما، كذبة كبرى فى زمن آخر.

وقراءة ثانية للكتاب العظيم الدون الهادىء، للكاتب السوفياتى شولو خوف مطلوبة، ورغم الضجة التى ثارت على هذه الرواية وعلى كاتبها، الا انها رواية تعد من روايات القرن العشرين،

المتميزة بملحميتـها، وبالصراع الذى كان يدور بين الروس الحمر، والروس البيض، وملحمة الثورة الروسية فى بداياتها.

وعندما كنا نقـرأ الرواية فى زمن ما، كـانت عين المؤلف تقودنا، وعين القارىء تنجـرف لرؤية طرف واحد، الطرف الاحمـر الغالب على صـبغـة بدايات القرن العـشرين، والآن عندمـا نعود لـقراءة الرواية مرة أخـرى، سنجد ان الطرف الابيض، الذى عـانى بسبب رؤية ايديولوجـية مسـبقـة تجاهه، سواء من المـؤلف، أو القارىء المتعـاطف، وبالتالى كـانت المذابح التى وصلت الى ملايين البـشر، تبررها الاخلاقـيات الايدلوجية المسـبقة، اما الآن فـسوف تجدها تختلف.. للبـيض أيضـا مبررات اخـلاقية لاختلافـهم ولوجودهم، فـقط إن الرؤية الآن اخـتلفت، وصـار الذى يرى بالعين الحـمـراء المجردة، يعترف بأن هناك ايضا عين بيضاء مجردة!



حوارات

كان الجاحظ حينما يريد ان يفند حجج الخصوم، كان يأتى بحججهم كاملة، واحدة، تلو الاخرى، ويكون آنذاك متقمصا، روح، ورأى، وعاطفة أصحاب ذلك الرأى، ثم يقوم بتفنيد تلك الحجج، واحدة تلو الاخرى، بعبارات تلك الايام.

ويورد الاصفهانى، فى كتاب الاغانى، هو الآخر، نموذجا لنوعية من الحوارات، بين مختلف أصحاب الآراء.. يقول الاصفهانى:

(اجتمع متكلمان فقال احدهما: هل لك فى المناظرة؟

فرد الآخر قائلا: على شرائط، ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيرى، وأنا اكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلا، ولا تجوز لنفسك تأويل مثلها على مذهبى، وعلى ان تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى ان كل منا يبقى مناظرته، على ان الحق ضالته، والرشد غايته..)

فهل الناس يتقدمون فى حوارات عصرهم أم يتأخرون؟ قارنوا بين هذا الرأى فى تلك الحوارات القديمة، وبين ما تقرأونه من حوارات ومحاورات معاصرة؟

الفأس الضائع

كانت العلاقات المحتقنة بين مختلف الاطراف الفاعلة فى المجتمع قد عبر عنها خير تعبير قصة صينية قديمة ، وربما حكمة الصين تكمن فى إيجازها التنظير الكثير فى حكمة موجزة ، لها البعد المباشر ، والمغزى العميق ، تقول الحكاية :

ضاع فأس أحد القرويين ، فشك ان يكون ابن الجيران قد سرقها ، وبدأ يلاحظ بدقة ، فبدا له ان نغمة صوت الشاب وطريقة مشيته تختلفان عن طريقة الانسان السوى ، وفى نهاية الامر ، تأكد أن كل حركة وتصرف يقوم بها ذلك الشاب ، كانت تدل على انه لص .

فيما بعد عثر القروى على فأسه الضائعة ، حيث نسيها حينما ذهب لقطع بعض الاخشاب من الوادى ، وفى طريق العودة وبالقرب من بيت الجيران ، وعندما شاهد الابن المتهم ، تبين له ان نغمة صوت الشاب وطريقة مشيته لاتدلان على ان صاحبها لص .

ولو اعاد كل منا رؤيته للآخر ، لاكتشفنا كم كنا مخطئين فى رؤيتنا ، وكم هو كم الشك والريبة التى تكونت لدينا لبعدنا عن حقيقة الآخر .

نوعية

لا تزال نوعية من حضور ومرتادى الندوات، لم تتغير بعد كل تلك الاعوام، وهذه النوعية من الحضور تأتى لكل ندوة، وقد حفظت لها كلمتين، ترددهما، وترددهما فى كل ندوة، حتى فى نهاية الامر، قد عرفها الحضور مسبقاً، وحّضروا أفواههم للضحك وللسخرية، مما سيقوله، لأنهم يعرفون كلامه مسبقا من كثرة تكراره.

والبعض الآخر من الحضور، يحضر لهذه الندوات والمحاضرات، وهو قد حفظ سؤالا ايديولوجياً، يعرف هو اجابته مسبقا، ليحرج به المحاضر من جهة، ويستمتع هو برؤية الحاضرين، يتطلعون اليه، والى سؤاله العبقرى.. الذى ولدتّه قريحته المريضة.

وبعض من الحضور، يأتى الى هذه المحاضرات، وهو قد اتخذ موقفاً مسبقا من المحاضر، اما لأنه على خلاف سياسى، مع افكار هذا المحاضر، أو أنه على خلاف ايديولوجى معه، او حتى أنه فى خلاف شخصى معه، او حتى أنه لا يعجبه شكله، ويتحين

الفـرصة، حـتى يزل لســان المحاضــر بكلمــة، أو بفكرة، او برأى، يستطيع ان ينتهـز فيها الفرصــة، ويسفه المحاضر، فى شــخصه، وآرائه، وافكاره.

والبــعض من الحــضــور، يأتى الى هذه الندوات وهو قــد وزع الادوار، والاسئلة على عناصره، لـخلق نوع من الكمــين للمحاضر، إمــا عن طريق جـره، من خلال الاســئلة المعـدة سلفــا، من وجهــة نظرهم، ليؤيد، افكارهــم، او لتسفيــه أفكار المحاضر، المخــتلفة عن رؤيتهم.. واظهاره بمظهر الذى لا يفهم.

والبعض من الحــضور.. والبعض من الحضــور، ولكن نصمت افضل..



نفور

ربما ينفر الحصان من السرج،

ربما ينفر السيف من الغمد،

ربما ينفر السجين من الأسر،

ربما ينفر الصدق من الكذب،

لكن هل ينفر القلب من العشق؟!

وهل ينفر ينبوع الحياة من الشرب؟!

وهل ينفر الحب من المحب؟!

وهل ينفر القلم من الحرف؟!

وهل ينفر. . . . .

وهل. . . . .



الفهرست

الموضـوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة







ابراهيم بشمي/ معلومات عامة

ـ خريج جامعة القاهرة / كلية الآداب / قسم صحافة 1971.

العمل:

ـ صحفي في جريدة الأضواء البحرين 71 / 1973.
ـ مدير تحرير مجلة صدى الأسبوع / البحرين 1975.
ـ مدير مكتب جريدة الخليج الصادرة في دولة الإمارات العربية المتحدة/البحرين 80/ 1982.
ـ نائب مدير مركز الأمم المتحدة للإعلام/ البحرين 82/ 1983.
ـ الناشر ورئيس تحرير مجلة بانوراما الخليج/ مجلة اجتماعية ثقافية فنية شهرية ـ 1983.
ـ العمل الحالي: نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة «الأيام» للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع والمدير العام.

صدرت له الكتب التالية:

* اليمن بوابة الخليج الخلفية/ الشارقة.
* الكويت فرز الأوراق الديمقراطية/ الشارقة.
* بلوشستان قوس الخليج المشدود ـ البحرين.
* أيام زمان.
* أرخبيل الحكايات.
* بيوت البحرين القديمة.
* مملكة هرمز .. الفقاعة الذهبية.
* منمنمات.
* حكايات الأمثال (اعداد).
* الحكواتي الشرقي.
* عقد اللآل في تاريخ اوال (اعداد).
* بر فارس (اعداد)
* المنامة شانزليزيه الخليج.

قصص الأطفال:

1 ـ العصفور الأعرج.
2 ـ الزهرة الزرقاء.
3 ـ سراطين البحر الجبانة.
4 ـ فرخ البط الخواف.
5 ـ اللؤلؤة السوداء.
6 ـ النبع المسحور.
7 ـ جزيرة الطيور.
8 ـ طائر الكيكو.
9 ـ أجمل الحكايات القديمة (مجموعة حكايات).
10 ـ الأصدقاء.
11 ـ النجمة المغرورة.
12 ـ السلاحف الثرثارة.
13 ـ مهرجان الضفادع.
14 ـ القطة الشقية.
15– مدينة شجاعة
16– الفراشة الطائشة
17– المهر الأدهم
18 ـ حكايات من جزيرة العرب (مجموعة حكايات).
19 ـ حكايات شعبية (مجموعة حكايات).
20– حكايات عبر العالم
21– حكايات من آسيا
22– حكايات من افريقيا
23– حكايات من امريكا اللاتينية
24– حكايات صمد بهرنجي

* مشارك في العديد من المؤتمرات والنـ... سياسية المحلية والخليجية والعربية.
* مشارك في العديد من اللجان والمنتديـ... يا العامة.

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع